دفاع عن النبوة

د. محمد شلبي شتيوي

مقدمة :

قد ينظر البعض إلى قضية النبوة والأنبياء على أنها عقيدة لم تعد مجال بحث ودراسة في هذا العصر الحاضر، إما على اعتبار أن أهل الديانات مؤمنون بالنبوات والأنبياء، ومصدقون بذلك، ولهذا فليس هناك من مُسَوِّغٍ يستدعي طرح هذه القضية من جديد، وعرضها للبحث والدراسة، لأن في هذا تكرارا مقيتا، وشغلا للأذهان والعقول فيما لا طائل تحته، بل هو من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا فائدة منه تُرْتَجَى.

وإما على اعتبار أن أعداء الديانات كافرون بالنبوات، جاحدون للأنبياء، وحينئذ فلن يفيد إثبات النبوات، أو إقرار هذه الحقيقة في شيء، إذ أن هذا لن يغير ما في نفوس هذه الفئات الحاقدة من ضلال وفساد، ولن يمحو ما في قلوبهم من كفر وبهتان.

والصحيح الذي أراه : أن قضية النبوة والأنبياء ستظل قضية حية إلى يوم القيامة، فحيث وجد هناك مؤمنون يصدقون بالأنبياء ويقرون بالنبوات، وكافرون جاحدون للأنبياء، ومنكرون للنبوات، فإن المعركة الفكرية والعقائدية ستظل دائرة ومستعرة، وستبقى شاغلة للأذهان محركة للعقول، لأن أهل الكفر سيحاولون ـ وبكل ما أوتوا من قوة ـ هدم هذه العقيدة في قلوب المؤمنين بها، ومحوها من صدورهم، سواء بالقوة والسلطان، كما يحدث للمسلمين الذين يعيشون أقلية في بلاد السلطانُ فيها ليس للمسلمين، أو بالغزو الفكري، وذلك بالتقليل من شأن الأنبياء، والتهوين برسالاتهم، ولعل من هذا النوع ذلك الادعاء الذي نشروه في بعض البلاد الإسلامية، وعمقوه في عقول ونفوس بعض المسلمين المُضَلِّلِين، من أن

السنَّة النبوية ليست مصدرا من مصادر التشريع، أو ذلك الهجوم القبيح الذي يُشَنُّ على رواة الصحاح والسنن.

ومثل هذا الموقف من أعداء الإسلام يدفعنا إلى معاودة بحث قضية النبوة والأنبياء، وتبسيطها وتوضيحها للناس، ومن ثم الدفاع عنها، والرد على الشبهات المثارة أو التي تثار حولها، وذلك من أجل:

أولا: تثبيت هذه العقيدة في قلوب المؤمنين، وتذكيرهم بفضلها عليهم، وعلى المجتمع الإسلامي، بل وأهميتها للإنسانية جمعاء.

ثانيا: تسليح الشباب المسلم وتزويده بالردود النَّصِّيَّة والعقلية، كي يستطيع الصمود أمام هذه التيارات المعادية، بل ويقاومها، ويدافع عن هذه العقيدة ـ عقيدة النبوة ـ لأنه لا صلاح ولا فلاح لأي مجتمع بدون النبوات والاهتداء برسالات الأنبياء.

ثالثا: إثبات حاجة البشرية إلى النبوة والأنبياء، وأهمية هذه النبوات في حياة البشر في كل عصر من العصور، ذلك أنه ظهرت في عصرنا الحالي جماعات تنتسب إلى الإسلام، إلا أنها تقف حجر عثرة في وجه أي دعوة تنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية، تمسكا بالعلمانية[1] المقيتة، التي تجعل الإنسان آلة بلا رحمة أو

---

(١) يقول أنور الجندي في كتابه «سقوط العلمانية» (ط ١ سنة ١٩٧٣ ص ٧): «العلمانية كلمة ذات أكثر من مدلول وذات تاريخ طويل وقد انتقلت مع الزمن معنى إلى معنى آخر، وقد حاول مترجموها عن اللغات الغربية إخفاء حقيقتها حتى لا تصدم الحس العربي وتبقى في نطاق العلم وهو نطاق يرد عنها عاديات الاتهام ويبقى هدفها الحقيقي مختفيا وراء اللفظ المشتق من أقرب الأسماء إلى نفوس العرب والمسلمين.

والواقع: أن لفظ «علمانية» هو ترجمة للكلمة اللاتينية (secular) ومعناها في اللغات الأوروبية «لا ديني». . . . وقد نشأت كلمة «علمانية» وهي تتصل أساسا بالقول بالفصل بين الدين والدولة».

ويقول الشيخ محمد مهدي في كتابه العلمانية (ط ٢ سنة ١٩٨٣) ص ٧: «هذا كتاب عن العلمانية (النهج الحياتي الذي يستبعد أي تأثير أو توجيه ديني على تنظيم المجتمع والعلاقات الإنسانية داخل المجتمع والقيم التي تحتويها هذه العلاقات وترتكز عليها) ومن ثم فهي نهج حياتي مادي تَكَوَّنَ نتيجة لنمو الفلسفات المادية اللاتينية.

ويقول د/ محمد البهى في كتابه الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة (ط ١ سنة ١٩٧٣) ص ١٦ «العلمانية تنسحب على غير قياس إلى العالم أو العالمية (secularism) وهي نظام من المبادىء والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية . . هي اعتقاد بأن الدين والشؤون الاكليريكية (اللاهوتية والكنسية) والرهبنة لا ينبغى أن تدخل في أعمال الدولة وبالأخص في التعليم العام.

= ويقول سفر بن عبدالرحمن الحوالي في كتابه العلمانية نشأتها وتطورها (ط ١٩٨٧ ص ٢١) «لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (secularism) في الانجليزية... وهي كلمة لا صلة لها بلفظ العلم ومشتقاته على لإطلاق... والترجمة الصحيحة للكلمة هي «اللادينية» أو «الدنيوية» لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب بل معنى أخص وهو مالا صلة له بالدين أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد «ويرى هذا الباحث أن العلمانية نوعان (ص ٢٤) العلمانية المعتدلة أي أنها مجتمعات لادينية ولكنها غير معادية للدين وذلك مقابل مايسمى العلمانية المتطرفة أي المضادة للدين ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها.

تعاطف أو إخاء ومحبة، تلك الأخلاقيات العظيمة الطيبة التي دعت إليها الأديان السماوية، أو بحجة أن ظروف العصر الحاضر لا تساعد على تطبيق الشريعة، وملاحقة الحضارة الحديثة والتمسّك بأهدابها أفضل بكثير من تطبيقات الشريعة، لأن صبغ المجتمعات الإسلامية بالحضارة الحديثة يعود على المجتمع الإسلامي ـ أفرادا وجماعات ـ بالخير الكثير والنفع العميم.

ولما كانت الشرائع وتطبيقاتها جزءا أساسيا من دعوات الرسل، كان العمل على طمس الشريعة، والوقوف أمام تطبيقها، نوعا من إنكار النبوة والأنبياء، لذلك كان مهما جدا بحث هذه القضية من جديد، للأخذ بيد هؤلاء الضالين المُضِلِّين إلى الطريق الصحيح، وتذكيرهم بقول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ **(النساء/٥٩)**.

من هنا كتبت هذا البحث آملا من المولى عز وجل أن يكون منه الأجر والثواب، وفيه النفع والخير الذي يعود على المسلمين جميعا.

وقد عنونت هذا البحث بعنوان: «دفاع عن النبوة»، قاصدا بهذا الدفاع عن النبوة ضد المنكرين لها، الذين يرون: أن العقل فيه الكفاية في معرفة جميع الحقائق الغيبية وغير الغيبية، وبذلك فلا حاجة للبشرية إلى النبوة والأنبياء.

أيضا: البحث دفاع عن النبوة ضد فلاسفة الإسلام الإلهيين، الذين يؤمنون بالنبوة والأنبياء، لكنهم انحرفوا في تفسيرها وفي بيان حقيقتها، مما جعل بعض علماء الكلام يعتقدون: بأن الفلاسفة منكرون للنبوة، بل نسبوا إليهم في كتبهم أنهم ـ أي الفلاسفة ـ منكرون للنبوة جاحدون لها.

كذلك يقصد بالبحث الدفاع عن النبوة ضد تلك الجماعات التي تدعي الإسلام، وتقف عائقا أمام تطبيق الشريعة الإسلامية التي جاءت بها النبوة، مفضلين عليها الحضارة الغربية المستوردة.

وقد قسمت هذا البحث إلى عدة مباحث:

المبحث الأول: في معنى النبوة والرسالة، لأن هذا هو مركز الدائرة في القضية التي نحن بصددها، إذ أننا لا نستطيع أن نحكم بأن هذا منكر أو غير منكر بدون معرفة معنى النبوة والرسالة.

المبحث الثاني: وهذا في بيان شبهات المنكرين للنبوة، والرد عليهم، ونخص منهم المسلمين، الذين تأثروا وتشبعوا بأفكار البراهمة والسمنية، فانحرفوا عن طريق المسلمين الملتزمين بشريعة الله تعالى، وذلك كابن الراوندي والرازي الفيلسوف، ومن يسير على طريقتهم.

المبحث الثالث: وهو في بيان انحراف بعض المسلمين المقرين بالنبوة، حيث خَصَّصُوها بالعبادات والمساجد، وفَصَلُوها عن أمور الحياة الدنيوية، إذ يستبعدون أن يكون للنبوة أي تأثير في تنظيم المجتمع والعلاقات الإنسانية داخل المجتمع الإسلامي المعاصر، ولذلك يعارضون تطبيق الشريعة الإسلامية ومنهجها القويم داخل المجتمعات الإسلامية، معتمدين في هذا على حجج واهية، لا تسمن ولا تغني من جوع.

المبحث الرابع: وهذا في بيان الحاجة إلى النبوات والرسالات، وأهمية هذا في صلاح المجتمعات وتقدمها وازدهارها.

الخاتمة: وقد دونت فيها ما توصلت إليه في هذه الدراسة من نتائج.

تمهيد :

حين ندرس الأديان السماوية دراسة تاريخية سنجد : أن كل دين سماوي يقوم على مجموعة من الأسس والقواعد المهمة، التي تحقق وجوده، وتضمن استمراره.

من هذه القواعد والأسس: الوحي الذي ينزله الله على صفوة مختارة من البشر هم الأنبياء والرسل، فلا قوام لدين بدون وحي، وليس هناك دين حق بدون نبي أو رسول اصطفاه الله لتلقي هذا الوحي وتبليغه للناس، إصلاحا للنفس البشرية، وارتقاء بالروحانية الإنسانية، وإعلاء لعلاقة الإنسان بخالقه، وبمن حوله من الناس الآخرين.

والإسلام الذي هو آخر الأديان السماوية يرتكز أيضا على هذين العنصرين: الوحي، والموحى إليه[1]. وهذا هو ما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (النجم: ١ -٥).

والمسلمون الذين أخلصوا الإيمان لله تعالى، وكذلك الذين طهروا قلوبهم من الزيغ والضلال الذي كانوا قد ورثوه عن الآباء والأجداد، أو تأصل فيهم بفعل العادات والتقاليد، هؤلاء المسلمون الذين خرجوا من الظلمات إلى النور بفضل الإسلام، ظلوا ـ حتى لقوا ربهم ـ مؤمنين بالنبوة والأنبياء، مصدقين بالوحي الذي نزل على رسل الله، معترفين بمهمتهم الجليلة، وفائدتهم العظيمة، التي أفادت البشرية جمعاء، وبهم أصلح أمر الدنيا والآخرة.

لكنه مع انتشار الإسلام، واتساع أقطاره، ودخول بعض الموتورين : من اليهود، والنصارى، والمجوس، والزنادقة، في الإسلام ـ لا حبا فيه، ولكن حقدا عليه، وكيدا له ـ ظهرت بعض الفئات التي كانت لها مواقف خاصة تجاه النبوة والأنبياء فهم ما بين كافر كفرا صريحا، فلا يَرى في الأنبياء إلا جماعة من الدجالين والشعراء والمجانين، أو حاقد على الإسلام وأهله، فيظهر الإيمان إلا أنه يرى في

---

(١) وهذا بالإضافة إلى مصدر الوحي والرسول الذي ينزل بالوحي.

الأنبياء ترفا زائدا عن الحاجة، فضلا عن أنهم قد أتوا بمخاريق تستطيع العقول كشف انحرافها وضلالها، أو مؤمن يعلن إيمانه وتصديقه بالنبوة والأنبياء، لكنه يراهم بصورة بعيدة كل البعد عن الحق الذي عليه جمهور المؤمنين، وجماعة المسلمين، في كل زمان ومكان.

وهذه المواقف المنحرفة لهذه الفئات الضالة والمضلة، لا يقال فيها: إلا أنها مواقف الكارهين للإسلام الحاقدين عليه، ومن ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فضلوا عن طريق النور، وبعدوا عن صوت الحق الذي جاءهم من العلي القدير، رحمة بهم وإعلاء لشأنهم.

ولكي يكون الحكم صحيحا على هذه الفئات، لابد من استعراض آراء علماء المسلمين في معنى النبوة، وهذا هو المبحث الأول في هذا البحث.

المبحث الأول: معنى النبوة والرسالة:

أولا: المعنى اللغوي:

كلمة «النبي» قد تكون مأخوذة من النبأ، فيكون النبي قد سمي بهذه التسمية لأنه ينبىء عن الله تعالى، أي يخبر عنه، يقول ابن منظور في لسان العرب: النبيء المخبر عن الله تعالى. . لأنه أنبأ عنه، وهو فعيل بمعنى فاعل، قال الفراء: النبي هو من أنبأ عن الله»[1].

وفي الصحاح للجوهري[2]: النبأ: الخبر. تقول: نبأ ونبّأ: أي أخبر، ومنه أخذ النبي، لأنه أنبأ عن الله تعالى».

وفي مختار الصحاح[3]: النبأ: الخبر، يقال: نَبَأَ ونَبَّأَ وأَنْبأ: أي أخبر، ومنه (النبي)، لأنه أنبأ عن الله تعالى».

وقد تكون كلمة «النبي» مأخوذة من النَّبوة والنباوة: وهي الارتفاع عن الأرض، وذلك لأنه شَرُفَ على سائر الخلق[4].

وفي مختار الصحاح[5]: النبوة والنباوة ما ارتفع من الأرض، فإن جعلت النبي مأخوذا منه: أي أنه شَرُفَ عل سائر الخلق، فأصله غير الهمزة، وهو فعيل بمعنى مفعول.

وفي المواقف[6]: النبي لفظ منقول في العرف عن مسماه اللغوي إلى معنى عرفي، أما المعنى اللغوي، فقيل: هو المنبيء، واشتقاقه من النبأ، فهو حينئذ مهموز، لكنه يخفف ويدغم، وهذا المعنى حاصل لمن اشتهر بهذا الاسم، لإنبائه عن

---

(١) ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري)، لسان العرب (دار صادر) م أ ص ١٦٢.

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، (دار العلم للملايين، ط ١ سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م) جـ ١ ص ٧٤.

(٣) محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح (ط دار الحكمة) ص ٦٤٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب م ص١٦٣.

(٥) الرازي، مختار الصحاح ص ٦٤٤.

(٦) القاضي / عضدالدين عبدالرحمن الإيجي، كتاب المواقف بشرح السيد الشريف الجرجاني، (ط ١ سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م مطبعة السعادة بمصر) ج ٨ ص ٢١٧.

الله تعالى، وقيل : النبي مشتق من النبوة، وهو الارتفاع، يقال تَنَبَّى فلان: إذا ارتفع وعلا. . . وقيل : من النبي، وهو الطريق، لأنه وسيلة إلى الله تعالى.

وفي كتاب أصول الدين[1]: النبي في اللغة مهموز وغير مهموز، فالمهموز مأخوذ من النبأ الذي هو الخبر، وغير المهموز يحتمل وجهين:
أحدهما: التخفيف بإسقاط همزته، والثاني: أن يكون من النُّبْوة التي هي الرفعة، وهي ما ارتفع من الأرض، وكذلك النباوة ما ارتفع من الأرض، يقال : نبأ الشيء إذا ارتفع، فالنبي على هذا هو الرفيع المنزلة عند الله تعالى.

وهكذا نجد : أن كلمة النبي من الناحية اللغوية تعود إلى ثلاثة معانٍ هي :
المعنى الأول: الإنباء : وهو الإخبار، وذلك لإنبائه الناس عن الله تعالى، ولأنه يُنَبَّأُ هو بالوحي[2].
المعنى الثاني: النُّبوة والنباوة : وهو العلو والارتفاع، وذلك لارتفاع منازل الأنبياء ودرجاتهم على سائر الخلق.
المعنى الثالث: : النبي : وهو الطريق، وذلك لأن الأنبياء هم الطرق الموصلة إلى الله تعالى[3].

وأيا كان المأخذ الذي أخذ منه لفظ النبي، فإن التعريف اللغوي يشمل النبي الذي ليس برسول، والنبي الرسول، لأن كليهما ينبىء عن الله تعالى، وكليهما رفيع القدر والمنزلة، وكليهما موصل إلى الله عز وجل، وواسطة بينه وبين الناس.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي:

إذا كنا قد رأينا قواميس اللغة وكتب العقيدة متفقة حول المعنى اللغوي للنبي، فإننا لن نحظى بهذا الاتفاق حول المعنى الاصطلاحي لكلمة النبي، ذلك أن العلماء قد اختلفوا حول تحديد معنى النبوة والأنبياء.

---

(١) أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادى، كتاب أصول الدين، (درا الكتب العلمية، ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ص ١٥٣.

(٢) السفاريني (محمد بن أحمد السفاريني) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية (المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان) ج ١ ص ٤٩.
(٣) السابق، نفس الصفحة.

فابن تيمية[1] ينسب إلى الفلاسفة: أنهم يرون النبوة كمالا للنفس الناطقة، تستعد به لأن تفيض عليها المعارف من العقل الفعال، من غير أن يكون هناك خطاب حقيقي لله تعالى[2].

وهذا التعريف محل إنكار واستنكار من علماء العقيدة، وبخاصة أهل السنة منهم، وذلك لأنه يؤدي إلى ضلالات كثيرة، كإنكارهم كلام الله تعالى، ونزول الملك به، وكإنكارهم علم الله تعالى بالجزئيات[3].. الخ.

وأما علماء العقيدة فقد اختلفوا فيما بينهم حول حقيقة النبوة والأنبياء، فالسفاريني يأخذ بالتعريف الذي يقول: بأن النبي إنسان أوحي إليه بشرع، وإن لم يؤمر بالتبليغ، فإن أمر بالتبليغ فهو رسول[4]، وبهذا أخذ أيضا شارح الطحاوية[5]، وفي كتاب أصول الدين[6]: أن من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي فهو نبي، وعموما فإن كثيرا من العلماء على هذا التعريف.

وإني لأتساءل ـ ويتساءل معي كثير من الناس ـ: ما الفائدة من وحي يوحى إلى نبي ثم لا يؤمر بتبليغه إلى الناس؟ علما بأن الوحي الإلهي مقصود به صلاح الناس في الدنيا والآخرة؟ وما الفائدة من الأنبياء إذا كان هذا الوحي خاصا بهم ينتفعون به وحدهم، ويستأثرون بما فيه من خير وبركة؟

ويعلق الدكتور/ محمد الطيب النجار على هذا التعريف قائلا: «وهذا التعريف لا يستقيم مع الآية الكريمة التي يقول الله فيها **﴿وما أرسلنا من قبلك من**

---

(١) ابن تيمية (أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية) مجموعة فتاوي ابن تيمية (مطبعة كردستان بمصر ١٣٢٩ هـ) جـ ٥ ص ١٠٩.
(٢) سيتم تفصيل هذا في المبحث الثالث.
(٣) ولعل هذا هو الذي استدعى بعض علماء الكلام تصنيف الفلاسفة ضمن المنكرين للنبوة وسأستوفي هذا الموضوع في مجال قادم أن شاء الله تعالى.

(٤) السفاريني، لوامع الأنوار البهية جـ ١ ص ٤٩.
(٥) القاضي/علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (طبعة ٢ سنة ١٤٠٠ هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ص ١٠٣.
(٦) عبدالقاهر البغدادي، كتاب أصول الدين ص ١٥٤.

رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيّته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم﴾ لأن قوله تعالى (أرسلنا) يتعلق به (ولا نبي) وكأنه قال: وما أرسلنا من قبلك من رسول، وما أرسلنا من قبلك من نبي، وحيث تعلق به الإرسال صار مأمورا بالتبليغ.

على أن العقل لا يستسيغ أن يوحي الله إلى نبي بشرع ثم لا يأمره بتبليغه، لأن الشرع أمانة وعلم، وأداء الأمانة واجب، وكتمان العلم نقص ورذيلة»[1].

وما يقوله الدكتور النجار حق وصدق، يشهد له واقع بني إسرائيل مع أنبيائهم، فقد كانت تأتيهم الأنبياء لإصلاحهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، وإقامتهم على منهج التوراة، يقول ابن كثير: «كان بنوا اسرائيل بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدة من الزمان، ثم أحدثوا الأحداث، وعبد بعضهم الأصنام، ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويقيمهم على منهج التوراة، إلى أن فعلوا ما فعلوا، فسلط الله عليهم أعداءهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة... وانقطعت النبوة من أسباطهم، ولم يبق من سبط لاوى الذي يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حامل من بعلها، وقد قتل فأخذوها، فحبسوها في بيت لعلّ الله يرزقها غلاماً يكون نبيا لهم... ووهبها الله غلاما فسمته شمويل... فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه، وأمره بالدعوة إليه وتوحيده، فدعا بني إسرائيل[2]».

فشمويل لم يكن رسولا، وإنما كان نبيا، أمر بني إسرائيل بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وطلب منهم إقامة منهج التوراة التي جاء بها موسى ـ عليه السلام ـ وهذا يعني: أن النبي يقوم بتبليغ وحي الله تعالى إلى الناس، وليس الأمر كما هو في التعريف الذي معنا: أنه لم يؤمر بالتبليغ.

فإذا كان النبي مأمورا بالتبليغ والرسول كذلك مأمور بالتبليغ، كان هذا التبليغ أمرا مشتركا بينهما، وحينئذ لا يجوز أن يكون مخصصا.

---

(١) د/ محمد الطيب النجار، سيرة الرسول ﷺ في ضوء الكتاب والسنة والدراسات الإسلامية المعاصرة (مكتبة الجامعة الأزهرية سنة ١٩٧١ م) ص ١٢ والآية في النص من سورة الحج رقم ٥٢.

(٢) ابن كثير (الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي) تفسير القرآن العظيم (دار المعرفة، بيروت، لبنان) جـ ١ ص ٣٠٠.

ولكي نستطيع التفرقة بين النبي والرسول لا بد لنا من مخصص يخصص هذا عن ذاك، هذا المخصص يتكون من جزأين.

الأول: الوحي الذي يبلغ إلى الناس.

الثاني: الجماعة التي جاءها هذا الداعي، فإن كان الوحي جديدا، أو قديما وكانت الجماعة التي جاءها الداعي كافرة، فهذا هو الرسول، وذلك كسيدنا عيسى، ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فقد بلغ كل منهما قومه وحيا جديدا، وكانت الجماعة التي أرسل إليها كل رسول منهما كافرة بالله تعالى[1]، وكسيدنا داود وسليمان عليهما السلام، فقد كانا رسولين لكنهما كانا على شريعة سابقة: هي شريعة التوراة، لكنهما جاءا قوما كافرين.

أما إن كان هذا الوحي الذي يبلغ إلى الناس هو شريعة سابقة ولم يرسل هذا الداعي إلى الكفار وإنما أرسل إلى المؤمنين ـ وهذا كما هو الحال في أنبياء بني إسرائيل ـ فهذا هو النبي، لأنه أرسل إلى جماعة مؤمنة قد انحرفت عن طريق الحق، وذلك ليبلغها أمر الله ونهيه، ويعلمهم منهج الشريعة السابقة عليه.

وقد وضح ابن تيمية هذا الأمر توضيحا بليغا فقال:

«فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأه الله به، فإن أرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة التي قبله ولم يرسل إلى أحد يبلغه عن الله رسالة: فهو نبي، وليس برسول.

فالأنبياء ينبئهم الله، فيخبرهم بأمره ونهيه، وهم ينبئون المؤمنين بهم بما أنبأهم الله من الخبر والأمر والنهي، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له (فهؤلاء هم الرسل) فإن الرسل ترسل إلى مخالفين[2]، أما الأنبياء فلا ترسل إلى المخالفين، وإنما إلى المؤمنين.

---

(١) لا يقال: إن عيسى عليه السلام أرسل إلى بني اسرائيل وهم أهل التوراة وهي كتاب سماوي وهذا يعني أنهم لم يكونوا كفارا، لا يقال هذا، لأن بني اسرائيل انحرفوا عن منهج التوراة في مواقف متعددة وأوقات مختلفة كثيرة، ووصل بهم الانحراف في بعض الأحيان إلى ترك عبادة الله الواحد الأحد إلى عبادة آلهة أخرى لا تضر ولا تنفع، ويكفي استدلالا على هذا الانحراف قتلهم الأنبياء كما ورد في القرآن الكريم منسوبا إلى بني اسرائيل.

(٢) ابن تيمية، كتاب النبوات (دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) ص ٢٥٤.

وإذن فالنبي في الاصطلاح : هو من أوحى الله إليه بوحي، وأمره أن يبلغ المؤمنين به بأمر الله ونهيه حسب الشريعة السابقة عليه.

وبناء على هذا التعريف الاصطلاحي للنبي يكون تعريف الرسول في الاصطلاح: أنه من أوحى الله إليه بوحي وأمره بتبليغه إلى الكافرين من قومه، أو إلى كل كافر، سواء جاء بشرع جديد على الابتداء، أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله[1].

وإذا كنا قد اخترنا: أن النبي هو من أوحي اليه بوحي وأمر بتبليغه إلى المؤمنين، وأن الرسول مأمور كذلك بالتبليغ، إلا أنه تبليغ إلى الكافرين، فهذا يعني رَفْضًا للتعريف الذي يرى: أن النبي من أوحي إليه بوحي ولم ينزل عليه كتاب، وأن الرسول من أوحي إليه بوحي ونزل عليه كتاب، «لأن الله قد وصف بعض الأنبياء الذين لم تنزل عليهم كتب بالرسالة فقال تعالى عن سيدنا إسماعيل:

﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**﴾، وقال عن سيدنا يونس: ﴿**وإن يونس لمن المرسلين**﴾[2].

وكذلك سيدنا هارون، كان أيضا نبيا رسولا، لكنه لم ينزل عليه كتاب، وإنما نزل الكتاب - وهو التوراة - على سيدنا موسى عليه السلام.

وإتماما للفائدة أشير في نهاية التعريفات إلى أن كلا من النبي والرسول لا يكون إلا إنسانا ذكرا، فلا يكون من الجن رسل ولا أنبياء، ولا يكون من النساء رسل ولا أنبياء، يدل على الحكم الأول قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ

---

(١) عبدالقاهر البغدادي، كتاب أصول الدين ص ١٥٤، وفي تعريف النبي والرسول راجع: المسامرة بشرح المسايرة للكمال بن الهمام ص ١٨٧، ١٩٨، أعلام النبوة للماوردي ص ٣٧/٣٨.

(٢) د/ محمد الطيب النجار، سيرة الرسول ﷺ ص ١٣.

﴿ٱلرُّسُلِۚ﴾[1] فالآية ناطقة بأن الرسل جميعا من الإنس، سواء من قص الله ذكرهم على رسول الله ﷺ، ومن لم يقصص ذكرهم عليه.

وقد حصر الله النبوة والكتاب بعد نبي الله إبراهيم في ذريته، حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[2] ولم يقل أحد من العلماء: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم ثم انقطعت عنهم ببعثته[3]، ويدل على الحكم الثاني قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ ﴾[4] فلا نبوة ولا رسالة في النساء.

---

(١) النساء ١٦٣ ـ ١٦٥.

(٢) العنكبوت / ٢٧.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ ١١٧.

(٤) النحل / ٤٣.

المبحث الثاني: المنكرون للنبوات[1]:

المنكرون للنبوات أشد الناس ضلالا وانحرافا، إذ وصل بهم هذا الضلال والانحراف إلى حد الكفر البواح، حيث أنكروا النبوة والأنبياء ووقفوا أمام دعوة الرسل بالقوة تارة، وبزرع الشبهات في طريق تقدمها وانتشارها تارة أخرى.

وهؤلاء المنكرون للنبوات تمتد جذورهم إلى الزمان البعيد، إذ ما من رسول ولا نبي إلا وكان له منكرون لنبوته ورسالته، فنوح[2] ـ عليه السلام ـ حين دعا قومه إلى الإيمان بالله ووحدانيته وترك عبادة الأصنام، لم يؤمن به إلا نفر قليل، وأما باقي قومه فقد استهزؤوا به، ورفضوا دعوته، وأصروا على أصنامهم، بحجة أنه بشر مثلهم، وليس له حق في ادعائه فضلا عليهم، قال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

وإبراهيم ـ عليه السلام ـ دعا قومه إلى الحق وإلى عبادة الله الواحد الأحد، فلم يؤمن به إلا القليل، أما بقية القوم فلم يسمعوا لدعوته، لقد أراد لهم نبي الله الخروج من الظلمات إلى النور، فتمسكوا بالقاع، وعاشوا في الضلال، وأصروا على كفرهم، واجتمعوا على قتل نبيهم، تخلصا منه ومن دعوته، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ

---

(١) ذكر السمرقندي في كتابه الصحائف الإلهية ص ٤١٩ أن المنكرين للنبوة خمس طوائف: (١) الفلاسفة (٢) البراهمة (٣) الذين جوّزوا التكاليف لكن قالوا إن العقل يكفي في ذلك ولا حاجة إلى النبي (٤) الذين أنكروا أحكام الشرع محتجين على ذلك باشتمالها على أشياء (يدعون) أنها لا فائدة منها (٥) الذين أنكروا المعجزات محتجين بأن صحة النبوة موقوفة على المعجزة وهذه لا يعتمد عليها إذ قد تكون سحرا أو راجعة لخاصية جسم.. الخ.

(٢) سأكتفي في توضيح الصورة بإيراد النصوص التي تتعلق بدعوة أولى العزم وإنكار الكافرين لهذه الدعوة ولنبوة الأنبياء الذين جاءوا بها.

(٣) سورة المؤمنين: ٢٣ ـ ٢٥.

لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[1].

وموسى ـ عليه السلام ـ جاء قومه وعشيرته والملأ من آل فرعون بالحق المبين، الذي فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، فآمن به من شرح الله صدره للإيمان، أما بقية القوم فتعالوا واستكبروا، فتعاموا عن دعوة موسى ورسالته، وأغمضوا أعينهم عما جاءهم به من الآيات الواضحات، والمعجزات الباهرات، التي تثبت لكل ذي بصيرة أنه نبي الله ورسوله، لكنهم مع هذا كله تكاتفوا مع فرعون، وتآمروا على قتل موسى ومن معه من المؤمنين، والتخلص من هذه الدعوة الجديدة، يقول عز وجل:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

وعيسى ـ عليه السلام ـ جاء قومه مصدقا بالتوراة التي نزلت على أخيه موسى ـ عليه السلام ـ رادا لهم إلى طريق الحق الذي جاء في هذه التوراة، والذي وضحه إنجيل عيسى ـ عليه السلام ـ لكنهم ـ إلا من عصم الله ـ تآمروا على دعوته وكفروا بنبوبته، ووصموه وأمه بالعار، واتفقوا على قتله وصلبه. يقول سبحانه:

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ

---

(١) سورة الأنبياء: ٦٦ ـ ٧٠.

(٢) سورة الشعراء: ٢٣ ـ ٣٥.

مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

أما سيدنا محمد - ﷺ - فإنكار بعض الناس لنبوته ورسالته يمتد إلى أول موقف واجه فيه رسول الله - ﷺ - كفار قريش معلنا اختيار الله له نبيا رسولا، وأمره إياه بإنذار قومه وعشيرته، وذلك حين وقف مناديا على جبل الصفا:

(يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم. قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال: أبو لهب[2]: ألهذا جمعتنا؟ تبا لك! فأنزل الله ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾[3].

ومع هذا الإنكار المبكر، والجحود المعلن من بعض الأهل والأقارب، ظهر الإسلام وانتشر، ورسخت قدم محمد، نبيا ورسولا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وآمن به الكثير من الناس، من مشارق الأرض ومغاربها، من العرب والعجم: الأبيض والأسود، الأحمر والأصفر.

ودخلت في الإسلام عناصر موتورة، امتلأت قلوبها ضغينة وكراهية لهذا الدين الجديد، إذ رأوا فيه هدما لسلطانهم، وزعزعة لكيانهم ووجودهم، فأخذوا ينفثون سمومهم هنا وهناك، ويثيرون الفتن بين الناس، ويزرعون الشكوك في قلوب النفوس الضعيفة، والعقول المريضة، فلم يتركوا أصلا من أصول الإسلام، ولا فرعا من فروعه إلا وأثاروا حوله الشبهات، والقيل والقال، إضعافا لتأثيره في قلوب الناس، وصرفا لهم عن الدخول في هذا الدين الجديد، وكان من هذه الأصول التي أثاروا حولها الشبهات، قضية: «النبوة والأنبياء».

---

(١) سورة النساء: ١٥٦ - ١٥٨.

(٢) لم يكن في هذا الوقت يسمى بهذا الاسم، إذ كان يسمى «عبدالعزى بن عبدالمطلب»، وإنما سمي بهذا الاسم - أبو لهب - لأن الله سماه بهذا في قوله تعالى: **﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾** (المسد) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٥٦٤.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٥٦٣ والحديث مروي في البخاري.

«فالمزدكية[1]، والمانوية[2]، من الفرس وأنصارهم من زنادقة[3] العرب، بدأوا في القرن الثاني للهجرة ينشرون دعوة التثنية، ويهدمون فكرة التوحيد التي قام عليها الإسلام، وكلنا يعلم خبر بشار بن برد، وصالح بن عبدالقدوس[4] الثنويين، الذين كانت لهما مجالس خاصة تذاع فيها الآراء المزدكية والمانوية، والسمنية[5]. وغيرهم من براهمة[5] الهند : أخذوا في ذلك العهد نفسه ينادون بتناسخ الأرواح، وينكرون النبوة والأنبياء، ولا يرون حاجة البشر إليهم[6]».

---

(١) المزدكية، نسبة إلى مزدك، وفي رأيه أن العالم مركب من أصلين النور والظلمة، والمال والنساء عنده حلال لجميع الناس، فهم في ذلك شركاء كالماء والهواء، وحكي عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة (الشهرستاني، الملل والنحل، مكتبة الخانجي بمصر، هامش الفصل، جـ ٢ ص ٦٩).

(٢) المانوية، نسبة إلى ماني بن فاتك، أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية. العالم عنده مركب من أصلين قديمين هما النور والظلمة، وكلاهما يفعل على الخبط والاتفاق (الشهرستاني، الملل والنحل، جـ ٢ ص ٦٥).

(٣) تزندق الرجل: صار زنديقا، الزندقة الاسم منه، والزنديق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان (دائرة معارف القرن العشرين م ٤ ص ٦٠٨) ويقول/ أحمد أمين: الزندقة لها معان أربع : (١) التهتك والاستهتار والفجور مع قبيح في القول يصل أحيانا إلى ما يمس الدين، ولكن قائله لم يقله عن نظر وإنما عن خلاعة ومجون. (٢) اتباع دين المجوس وخاصة دين ماني مع التظاهر بالإسلام كبشار وحماد وابن المقفع. (٣) اتباع دين المجوس وبخاصة دين ماني من غير تظاهر بالإسلام. (٤) ملحدون لا دين لهم، لكن يظهر أن الكلمة أكثر ما كانت تطلق على من اعتنق المانوية باطنا والإسلام ظاهرا ثم توسعوا في معناها فأطلقوها على الإباحي والملحد الذي لا دين له (ضحى الإسلام، ط ٣، جـ ١ ص ١٦٠ / ١٦١).

(٤) الأصفهاني (أبو الفرج الأصفهاني) الأغاني (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) جـ ٣ ص ١٤٥ - ١٤٧، ١٥٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٤٣.

(٥) السُّمَنية بضم السين وفتح الميم المنسوب إلى سومنات، وهم قوم من عبدة الأوثان قائلون بالتناسخ وبأنه لا طريق للعلم سوي الحس. (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي م ١ ط كلكته سنة ١٨٦٢ م ص ٤٧٩) والبيروني في كتابه: تحقيق ما للهند من مقولة، يقول: شمنية بالشين وذلك في الصفحات: ٥، ١٥، ١٦، ٣٠، ٦٨، ٩٣، ١٠٤، ١٢٠، ١٢٢، ٢٠٦، ٢٧٦، ٤٧٩.

(٦) البراهمة: قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند، ويقولون: إنهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم، ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف، وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات (أبو محمد، علي بن أحمد، بن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي بالقاهرة، جـ ١ ص ٦٣).

(٧) د/ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية جـ ١ ص ٧٨، وأيضا ضحى الإسلام لأحمد أمين، جـ ١ ص ١٤٣.

ولقد كان من أثر ظهور هذه الدعاوي الباطلة في البيئة الإسلامية: أن تأثر بتلك العقائد المجوسية والهندية بعض الذين دخلوا في الإسلام من الأمم الأخرى، وقد كان من أهم الشخصيات التي تأثرت بهذا الغزو العقائدي الضال، شخصيتان تنتميان إلى الإسلام وتمتازان بمقدرة جدلية فائقة، استطاعا بها إثارة مشكلة النبوة والأنبياء بين الأوساط الإسلامية، وتشكيك بعض الناس في عقيدتهم، وقد كان لهذا أثره فيمن كان يعبد الله على حرف، وفي أصحاب القلوب المريضة، أما هاتان الشخصيتان فهما:

ابن الراوندي، والرازي الطبيب، فقد صنفا الكتب الضالّة المُضِلّة، وملآها بالشبهات التي روجوها حول النبوة والأنبياء ومعجزاتهم، وصلاحية الأديان لإحلال السعادة في قلوب الناس، وتحقيقها في كل المجتمعات.

أما ابن الراوندي، فهو: أحمد بن يحيى، بن إسحاق، أبو الحسن الراوندي. وصفه ابن كثير، وكذلك ابن حجر العسقلاني: بأنه من مشاهير الزنادقة، ويصفه ابن الجوزي: بالملحد الزنديق. وعرفه ابن تغرى بردى: بالماجن. نسبة إلى الهزل والزندقة[1].

وابن الراوندي من أصل يهودي، إلا أنه دخل في الإسلام، واعتنق الاعتزال، بل كان من حذاق المعتزلة، لكنه انقلب عليهم بعد ذلك انقلاب الضد إلى الضد، فهاجمهم هجوما عنيفا، وألف فيهم كتابا سماه: فضائح المعتزلة، ليرد بذلك على كتابهم فضائل المعتزلة، كما هاجم الإسلام هجوم الكفار عليه، بل أشد، حيث تعاون مع الزنادقة والملحدين من أمثاله في الهجوم على الإسلام والطعن عليه، عقيدة وشريعة، حتى قيل: إنه ألف اثني عشر كتابا في الطعن على الإسلام وكتابِه ورسولِه.

منها: الفرند، وقد خصصه للطعن في رسول الله محمد - ﷺ - والزمردة، وقد جعله خاصا بإنكار الرسل وإبطال رسالاتهم، والدامغة، وقد أفرده للطعن على القرآن الكريم[2].

---

(١) الزركلي (خير الدين الزركلي) الأعلام (الطبعة الثانية) ص ٢٥٢/ ٢٥٣.

(٢) ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) وفيات الأعيان (دار صادر - بيروت) جـ ١ ص ٢٧، والبداية والنهاية (مكتبة المعارف ط ٢ سنة ١٩٧٧ م) جـ ١١ ص ١١٢، والأعلام (دار العلم للملايين ط ٥ سنة ١٩٨٠) ص ٢٦٧، وشذرات الذهب (منشورات دار الآفاق الجديدة) جـ ٢ ص ٢٣٥/ ٢٣٦.

ولا شك أن الأنسان الذي بهذه المثابة من الحقد والكراهية للإسلام وكتابه، وعلى هذه الصورة من العداء للرسل ورسالاتهم، هذا الإنسان لا يصح أن ينسب إلى الإسلام ويعد في عداد المسلمين، وما هو إلا وصمة عار في جبين التاريخ، لأنه بؤرة من الشر والفساد، تتحرك علي الأرض، لتهلك الحرث والنسل، وتمنع الخير الذي جاءت به الأديان مِنْ أنْ يُحَقَقَ للناس أمنهم وسعادتهم.

إن مثل هذا الإنسان الحقود العنيد لا يُشَرِّفُ الإسلام ولا المسلمين، ولذلك فالإسلام بريء منه، والمسلمون برآء من هذا الملحد الزنديق: ابن الراوندي. والذي «يظهر: أنه أضحى دسيسة ضد المسلمين، يدبر لهم المكايد، وَيُسْتَأْجَرُ للطعن عليهم، ينشر فيهم عناصر الزيغ والإلحاد، ولم يَخْفَ أمره على بعض اليهود المخلصين الذين حذروا المسلمين منه، وقالوا لهم (ليفسدن عليكم هذا كتابكم، كما أفسد أبوه التوراة علينا)[1]».

ويقوم رأي ابن الراوندي حول النبوة والأنبياء على:
«إنكار للنبوات عامة، ونبوة محمد - ﷺ - خاصة، ونقدٍ لبعض تعاليم الإسلام وعباداته، ثم رفض في شيء من التهكم للمعجزات في جملتها.

فأما الرسل فلا حاجة إليهم، لأن الله قد منح خلقه عقولا يميزون بها الخير من الشر، ويفصلون الحق عن الباطل، وفي هدى العقل ما يغنى عن كل رسالة، يقول ابن الراوندي:
(إن البراهمة يقولون: إنه قد ثبت عندنا وعند خصومنا: أن العقل أعظم نعم الله سبحانه على خلقه، وأنه هو الذي يعرف به الرب ونعمه، ومن أجله صح الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، فإن كان الرسول يأتي مؤكدا لما فيه من التحسين والتقبيح، والإيجاب والحظر، فساقط عنا النظر في حجته، وإجابة دعوته، اذ قد غنينا بما في العقل عنه، والإرسال على هذا الوجه خطأ، وإن كان بخلاف ما في العقل من التحسين والتقبيح والإطلاق والحظر، فحينئذ يسقط عنا الإقرار بنبوته... والمعجزات أخيرا غير مقبولة في جملتها، ولا في تفاصيلها، ومن الجائز أن يكون رواتها - وهم شرذمة قليلة - قد تواطأوا على الكذب فيها، فمن ذا يسلم أن الحصى يسبح، أو أن الذئب يتكلم... وبلاغة القرآن على تسليمها ليست بالأمر

---

(١) د/ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية، جـ١ ص ٨٠.

الخارق للعادة، فإنه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها، ويكون في هذه القبيلة طائفة أفصح من البقية، ويكون في هذه الطائفة واحد هو أفصحها، وهب أن محمدا ـ ﷺ ـ غالب العرب في فصاحتهم وغلبهم، فما حكمه على العجم الذي لا يعرفون هذااللسان؟ وما حجته عليهم؟)[1]».

هذا نموذج من فكر أحد المنتسبين إلى الإسلام زورا وبهتانا، وهم في الحقيقة من ألد أعدائه، وأشدهم عليه حقدا وكراهية.

وابن الراوندي في هجومه هذا قد سلك مسلك المعتزلة في التقبيح والتحسين العقليين، وتأثر بأفكارهم، لأنه عاش بينهم، وكان من حذاقهم، وهو في هذا قد استغل منهج المعتزلة الذي تأثر به مسلما، في الطعن على الإسلام حين أصبح ملحدا.

أضف إلى هذا: أن ابن الراوندي حين أراد نشر هذا الفكر المسموم، وهذه الآراء الضالة نسبها إلى البراهمة ـ مكرا وخداعا ـ ولعله بهذا يريد أن يعطي السامعين له والقارئين لأفكاره صورة المفكر الذي يعرض القضية بحياد، دون تدخل منه، وهذا ذكاء ودهاء من ابن الراوندي، إذ إنه يفعل هذا «كي يجتذب إليه كل القراء، فهو لا يتعرض للنبوة بالنفي والإنكار فقط، بل يناقش موضوعها مناقشة حرة طليقة، يأتي فيها على أقوال المثبتين والمنكرين»[2].

واذا كان ابن الراوندي قد نسب هذه الأفكار الهدامة إلى البراهمة ـ فإن هذا لن يعفيه من المسئولية الدينية أمام الله تعالى، ذلك أنه بموجب دخوله في الإسلام وإيمانه وتصديقه بأركانه ـ التي منها قضية النبوة هذه ـ أصبحت قضية النبوة هذه غير صالحة للمناقشة، وبمثل هذه الطريقة المثيرة للشكوك والشبهات، بل أصبح مطالباً بالدفاع عن الإسلام وأركانه بكل ما أوتي من قوة عقلية وفكرية، منطقية وجدلية، لأن من قواعد الإسلام المهمة محاربة المنكر، فمن رأى منكرا طولب بتغييره بيده، فإن لم يستطه فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، روى مسلم عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع

---

(١) السابق ص ٨٢/ ٨٣.
(٢) السابق ص ٨١.

فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]، وابن الراوندي لم يقم بواجب الدفاع عن أصول الإسلام وشعائره، وإنما شَهَّرَ بِهِ، وَصَوَّرَهْ أمام الناس ـ معتنقيه وغير معتنقيه ـ بصورة مزرية.

وهو بعرضه لأفكار البراهمة هذه وترويجها بين الناس ـ وهو يعلم ضررها وخطرها وكذبها ـ صار منكرا لأمر معلوم من الدين بالضرورة، لأن من أنكر النبوة والأنبياء يكون منكرا لركن من أركان الإيمان والإسلام، وهذه ردة عن الدين، نتيجتها الضياع والخسران في الدنيا والآخرة.

فأما في الدنيا: فلأن حد الردة القتل[2]، وهذا كما قال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[3].

وأما في الآخرة: فذلك لبطلان سعيه، وضياع عمله، فضلا عن حرمانه من الجنة وخلوده في النار، وهذا كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4]

أما ادعاء ابن الراوندي الاستغناء بالعقل عن الأنبياء والرسل، فواقع الناس والمجتمعات قديما وحديثا يكذب هذا الادعاء، ذلك أنه لو كان العقل كافيا في معرفة الأمور كلها، وفيه الغناء عن الرسل والأنبياء، لما وجدنا عابدا للحجر، ولا ساجدا للصنم، ولا مؤلها للقرد والبقرة والثعبان، ولا مقدسا للنيران.

ولو كان العقل قادرا على معرفة الإله ـ بدون الآيات القولية التي جاءت بها الرسل، والآيات الكونية ـ المنتشرة أمام الناظرين ـ والأمر والنهي، والترغيب والترهيب، فلماذا نرى ـ في واقع الحياة ـ من لا علم له ولا معرفة بالرب؟ ولماذا نرى الكثير من الأمم مختلفين حول حقيقة هذا الإله؟ فبينما يراه أهل الإسلام إلها وحدا، إذ بالنصارى يرونه ثالث ثلاثة، وإذ باليهود يرون عزيرا ابنا لله تعالى؟

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالمعروف (دار الفكر) م ١ ص ٢٢.
(٢) قيل: إن ابن الراوندي قتل مصلوبا ببغداد سنة ٢٤٥ هـ، البداية والنهاية جـ ١١ ص ١١٣.
(٣) سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب (٢٥) حديث رقم ١٤٨٣.
(٤) البقرة / ٢١٧.

واذا كان ابن الراوندي يعتقد بالتحسين والتقبيح العقليين، وأن كل إنسان يستطيع بعقله أن يدرك حسن هذا الشيء وقبح ذلك الشيء، فإن مقتضى هذا ـ لو كان ذلك حقا، وعقيدة صحيحة ـ أن تتفق جميع العقول على معبود واحد، أما وقد اختلفوا حول هذا المعبود : فهذه الجماعة ترى في عبادتها للبقرة أمرا حسنا في العقل، وعبادة النار أمرا قبيحا في العقل، وأهل التثليث يرون هذا عقيدة حسنة في العقل، وأهل التوحيد يرونه أمرا قبيحا في العقل.

فاختلافهم هذا يدل على أن العقل لا يستطيع الوصول إلى معرفة أين يكون الحسن، وأين يكون القبح، في كل الأحوال، وإذن لابد من الأنبياء والرسل، ليبينوا لنا مثل هذه القضايا العقائدية التي يعجز العقل عن إدراكها وحده بدون معين من النصوص الدينية، ورسل الله الذين أرسلهم لإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الحق، والإيمان المضيء.

ولو كان العقل كافيا في معرفة أمور الدين، لكان قد وصل إلى هذه المعرفة كبار العلماء الذي عُرِفوا بالعقل الواعي، واشتهروا بالذكاء الحاد، لكنهم مع هذا الذكاء الوافر، والفكر المتقد، ما وصلوا إلى معرفة الحقيقة.

فمنهم من كان يعبد نارا يشعلها الإنسان ويطفئها الإنسان، وبعضهم كان يعبد حيوانا لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الإيذاء أو الذبح أو القتل.. الخ، وهذا يعني : أن العقل لا يستطيع أن يصل إلى معرفة كل الحقائق، حتى ولو كان قمة في الذكاء وفَهْمِ الأمور وإدراكها.

وهل يمكن لعاقل أن يرى في عبادة أبي جهل لحجر لا يضر ولا ينفع، ودفاع قريش عن أصنامها وأوثانها وموتهم دُونها شيئا من التحسين العقلي؟

ولو كان العقل فيه غنية عن الأنبياء والرسل بحيث يستطيع وحده أن يعرف الخير من الشر، لما صح انفصال ابن الراوندي عن المعتزلة، بعد دخوله في صفوفهم، لأنه ـ حسب مذهبه في التحسين والتقبيح العقليين ـ ما دخل معهم الا لأن عقله وجد مذهبهم حسنا، فلا يستساغ حينئذ انفصال ابن الراوندي عما حسنه عقله، وإلا كان هذا قبحا، إذ ليس هناك من سبب يستدعي خروجه عليهم، أما وقد خرج عليهم ولازم الملحدين، وتعاون مع الزنادقة، فهذا ـ وحسب مذهبه العقلي ـ يعني : أن عقله رأى في مذهبهم ـ أي المعتزلة ـ قبحا واستهجانا، وحيث أن مذهب المعتزلة حسن قبيح في آن واحد وهذا ممتنع لاجتماع الضدين، والذي أوقعنا

في هذه النتيجة الخاطئة إنما هو اضطراب عقل ابن الراوندي، بحيث أصبح لا يستطيع تبين أين يكون الحسن، وأين يكون القبح، بدليل أنه لم يثبت على موقف معين، وهذا العقل المضطرب لا يستطيع أن يصل إلى معرفة الحقيقة، فلا يصح له أن يكون حكما في قضية النبوة والأنبياء.

ونقول لابن الراوندي: «هب أنا نعلم بعقولنا حسن الإيمان وقبح الكفر والعصيان، لكنا لم يصل إدراك عقولنا إلى أن من فعل القبيح عذب، مع أنا نحس أن لنا في معاطاة القبيح لذة، وليس على الباري فيه مضرة، ولم نعلم أن من آمن وعمل صالحا استحق الثواب، مع إدراكنا بعقولنا عدم العود بمنفعة له تعالى، فلا جرم تقاضتنا الشهوات، وأقدمنا على ما فيه لنا من اللذات»[1].

والعقل يدرك أن هذا الشيء حسن، وهو في حقيقة الأمر قبيح، وبالعكس فقد يدرك العقل أن هذا الشيء قبيح وهو في حقيقته أمر حسن وعظيم، فالأخذ بالثأر عند بعض العقول رجولة وشهامة وكرامة، لكنه في حقيقة الأمر خزي وندامة في يوم القيامة.

والجهاد عند البعض: مخاطرة وسفك دماء، وضياع أموال، ولكنه في حقيقة الأمر ظفر وانتصار على الأعداء، وحماية الأطفال والشيوخ، والنساء والأموال والديار، ولولا الدين الذي جاءت به الرسل لما عرفنا هذا كله.

والأكثر من هذا «أنه قد توجد أشياء لا يحكم العقل فيها لا بالحسن ولا بالقبح، فيحتاج فيها إلى نبي لئلا يقع التنازع[2]».

على أنه ليس بلازم أن يكون ما جاء به الرسول مما تستطيع العقول إدراكه ومعرفة حقيقته، وذلك لأن «الرسول لا يأتي إلا بما لا تستقل به العقول، بل هي متوقفة فيه عن المنقول، وذلك كما في مسالك العبادات ومناهج الديانات، والخفى مما يضر وينفع من الأقوال والأفعال، وغير ذلك مما تتعلق به السعادة والشقاوة في الأولى والأخرى، وتكون نسبة النبي إلى تعريف هذه الأحوال كنسبة الطبيب إلى تعريف

---

(١) السفاريني، لوامع الأنوار البهية جـ٢ ص ٢٥٩.
(٢) السمرقندي، الصحائف الإلهية ص ٤٢٠.

خواص الأدوية والعقاقير التي يتعلق بها ضرر الأبدان ونفعها، فإن عقول العوام قد لا تستقل بدركها[1]».

ولصاحب المسامرة كلام سهل ويسير في الرد على هؤلاء المانعين للنبوات ـ ومنهم ابن الراوندي ـ بحجة قدرة العقل على التحسين والتقبيح[2] نوجزه فيما يلي:

أولا: اذا كان العقل لا يهتدي إلى تمييز الأدوية المفيدة للصحة الا بالطبيب العارف بها، فكذلك هذا العقل لا يمكنه الاهتداء إلى الأفعال المحببة في الآخرة ليأتي بها الا عن طريق الرسول.

ثانيا: العقل لا يستقل بإدراك كل الأمور، وإنما قد يدرك البعض بذاته، ويقصر عن ادراك البعض الآخر، ويتردد في بعض المسائل التي لا يعرف وجه الحق فيها.

فالأمور التي يمكن للعقل أن يستقل بإدراكها كوجود الباري وعلمه وقدرته[3]، قواه وأكده ما جاء به النبي، فكان هذا بمثابة تعاضد الأدلة العقلية إلزاما بالنقلية.

أما ما قصر العقل عن إدراكه كرؤية الله، والمعاد الجسماني، وقبح الصوم أول شوال، فهذا يبينه النبي ويوضحه.

وما تردد فيه العقل دون ترجيح طرف على آخر كانت مهمة النبي رفع هذا الاحتمال والتردد، فإن غلب ظن حسنه بحيث كان القبح متوهما كانت مهمة النبي قطع مزاحمة الوهم فيه للعقل.

ثالثا: العقول متفاوتة، والواقع يؤكد هذا التفاوت حيث نشاهد جماعة تستحسن فعلا، وجماعة أخرى تستقبح هذا الفعل، فإن فوضنا الأمر إلى العقل أدى هذا إلى التناحر والتقاتل، ومهمة النبي في هذا الموقف هو النهي عن الإقدام على

---

(١) الآمدي (سيف الدين) غاية المرام في علم الكلام (القاهرة سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) ص ٣٢٦.

(٢) انظر: التمهيد للباقلاني ص ١٠٥، ونهاية الإقدام للشهرستاني ص ٤١٧، والإرشاد للجويني ص٣٠٢، وغاية المرام للآمدي ص ٣٢٠ ولباب العقول للكلاني (ط ١) ص ٣٤٣ وأعلام النبوة للماوردي ص ٢٠.

(٣) لا شك أن الناس وإن كانوا يدركون هذه الأمور إلا أنهم مختلفون في حقيقتها.

الفعل المتنازع فيه، وذلك عن طريق ما عنده من أخبار إلهية يحسم بها مادة الفساد التي تؤدي إلى التناحر والتقاتل[1].

هذا هو رأي ابن الراوندي في النبوة والأنبياء، وهذه بعض الردود[2] التي دحض بها علماء الإسلام المخلصون شبهات ابن الراوندي ومن يلف معه في دائرة الضلال والظلام.

وهنا نأتي إلى الشخصية الثانية التي تمثل اتجاها آخر من اتجاهات منع النبوة والقول باستحالتها، هذه الشخصية هي شخصية الرازي الطبيب، وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي[3].

نسب إليه ابن حزم القول بتناسخ الأرواح، وأنه القائل: «لولا أنه لا سبيل إلى هذا التناسخ إلا بذبح الحيوانات وقتلها لما جاز ذبح شيء من الحيوان البتة»[4].

وقال القاضي صاعد في طبقات الأمم: إن الرازي كان يستحسن مذهب الثنوية في الإشراك، وآراء البراهمة في إبطال النبوة، والاعتقاد عوام الصابئة في التناسخ[5].

وقد اشتهر الرازي بمهاجمته للأديان، بحجة أنها وسيلة للتنافس والتطاحن والحروب، ومن أجل بلورة فكرته هذه عن الأديان ـ بما فيها من عقائد وتشريعات ـ ونشرها وذيوعها بين الناس، ألف بعض الكتب التي تتناول قضايا العقيدة والشريعة بالنقد والهجوم.

وكان من أقوى هذه الكتب عنفا وهجوما، وأشدها حقدا وكراهية: كتابه «مخاريق الأنبياء» أو «حيل المتنبئين»، وكذلك كتابه «نقض الأديان» أو «في

---

(١) الكمال بن أبي شريف، المسامرة بشرح المسايرة ص ١٨٨.

(٢) لم نأت على كل الردود التي قال بها كافة علماء المسلمين لأن هذا سيشغل حيزا كبيرا من البحث، ويؤدي إلى الإطالة المملة.

(٣) راجع في هذا الفهرست لابن النديم، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، وطبقات الأطباء لابن جلجل، وتاريخ الحكماء للقفطي، وفيات الأعيان لابن خلكان.

(٤) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ٧٧.

(٥) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم (نشرة شيخو ١٩١٢ م) ص ٣٣ نقلا من: مجموعة الرسائل الفلسفية للرازي جـ ١ ص ١٨١.

النبوات»، فالرازي في كتابه «نقض الأديان» يصرح بأن «الأنبياء لا حق لهم في أن يدعوا لأنفسهم ميزة خاصة، عقلية كانت أو روحية، لأن الناس كلهم سواسية، وعدل الله وحكمته تقضي بألا يمتاز واحد على الآخر.

أما معجزات الأنبياء فهي في نظر الرازي ضرب من الأقاصيص الدينية، أو اللباقة والمهارة التي يراد بها التغرير والتضليل، والتعاليم الدينية متناقضة يهدم بعضها بعضا، ولا تتفق مع المبدأ القائل : إن هناك حقيقة ثابتة، ذلك لأن كل نبي يلغي رسالة سابقة، وينادي بأن ماجاء به الحق، ولا حق سواه»[1].

ويدعى الرازي : أن النفس الشريرة تتحول إلى شيطان ـ لأنه يؤمن بالتناسخ ـ ثم يظهر هذا الشيطان في صورة الملائكة، ويقابل هذا الملك ـ الذي هو شيطان ـ بعض الناس فيوحي إليهم بادعاء النبوة والرسالة، ويصدق البعض تمويه الشيطان عليهم فيدعون : أنهم أنبياء ورسل، يقول حميد الدين خسرو: إن للرازي كتابا يسمى العلم الإلهي، وإنه قال فيه : إن «نفوس الأشرار التي صارت شياطين تتجلى لبعض الناس في صورة ملائكة، وتأمرهم بأن اذهب وقل للناس : إنه قد جاءني ملك، فقال لي : إن الله أعطاك الرسالة، وإني الملك المبعوث إليك، حتى وقع الاختلاف بين الناس بسبب ذلك، وقتل خلق كثير نتيجة تدبير تلك النفوس، التي أصبحت شياطين»[2].

وهذا الافتراء من الرازي يعني هَدْمًا لكل أركان وقواعد الأديان، لأنه ينفى أن تكون لله ملائكة، وينفى أن يكون هناك وحي حقيقي، وينفى أن تكون نبوة وأنبياء، فالملائكة في نظره نفوس شريرة تحولت إلى شياطين، وأن الرسل والأنبياء قد تأثروا بهذه النفوس الشريرة، فصدقوها في إدعاء الإرسال والإنباء.

وقد تصدى أبو حاتم الرازي في كتابه «أعلام النبوة» لمفتريات الرازي التي بثها في كتبه، وبخاصة كتابه «في النبوات»، لكن لم تصل إلينا كل الردود التي قالها، والمناقشات التي دارت بينها، وإنما وصل إلينا بعضها، نلخصه فيما يلي:

نحن لا نرى في العالم إلا إماما ومأموما، وعالما ومتعلما، في جميع الملل والأديان

---

(١) د/ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية جـ ١ ص ٨٧.

(٢) الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي) رسائل فلسفية (جمعها وصححها ب، كراوس، مصر سنة ١٩٣٩ م) جـ ١ ص ١٧٨.

والمقالات، من أهل الشرائع وأصحاب الفلسفة، ولا نرى الناس يستغني بعضهم عن بعض، ولم نر لهم إلهاما يغنيهم عن الأئمة والعلماء.

ولقد وجدنا الناس على طبقات ومراتب متفاوتة، ولقد اتفق الناس على أن يقولوا: فلان أعقل من فلان، وفلان عاقل، وفلان أحمق، وفلان أكيس من فلان، وفلان كيس، وفلان بليد.

وهل يمكن لأحد أن يدعي أن البليد الأحمق يستطيع أن يدرك بعقله وفطنته ما يدركه العاقل الكيس الفطن اللطيف الطبع من العلوم الدقيقة والجليلة؟

لقد خصَّ الله البشر بأن يكون فيهم عالم ومتعلم، وإمام ومأموم، وفاضل ومفضول، ليقوم الأمر والنهي، وتظهر الطاعة والمعصية، ويثبت الاستعباد (أي عبادة الإنسان لخالقه، والإقرار بعبوديته لله تعالى) ويقع الثواب والعقاب على حسب ما يكون من أعمالهم باختيار لا بإجبار، وهذا أوجب في حكمة الحكيم ورحمة الرحيم من أن يكون سبيل البشر سبيل البهائم وسائر الحيوان.[1]

أما رأيي فيما يقوله الرازي: فإني أراها ادعاءات كاذبة، يقصد بها تشويه صورة الإسلام في أعين الناس، إذ أن كل ادعاءاته لا تقوم إلا على أدلة واهية، لا تصمد ولا تثبت أمام الحقائق القوية والبراهين الواضحة التي قام عليها الإسلام.

فأما ادعاؤه: بأن الأديان متناقضة، يهدم بعضها بعضا، وبالتالي تكون وسيلة للتطاحن والتنافس والحروب، فهذا منقوض بما نراه في الإسلام من اعتراف بالأديان الصحيحة السابقة عليه، وتصديقه بالرسل والأنبياء السابقين على محمد بن عبدالله ﷺ.

وحقيقة الأمر: أن الناس لا يتطاحنون بسبب الأديان وحدها، وإنما يتطاحنون بسبب المال والنساء والأولاد، ودواعى العصبية والقبلية والقوميات التي يثيرها أعداء الأديان بين الناس، ليفجروا فيهم الثورة على الأديان والرسل والأنبياء.

فهل نحرم على أنفسنا المال والنساء والأولاد، بحجة أنها وسيلة للتنافس والتطاحن والحروب؟ أم نتمسك بما في الأديان من دعوة إلى الخير والمحبة، ودعوة إلى

---

(١) أبو حاتم الرازي (أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي) أعلام النبوة (ضمن مجموعة الرسائل الفلسفية للرازي) جـ ١ ص٢٩٦.

التمسك بفضائل الأعمال، حتى نحد من هذا التطاحن والتنافس غير الشريف؟ وحتى نتخلص من هذه الحروب المدمرة للنفوس والحياة كلها؟

إن رفض الرازي للأنبياء ونبوتهم بحجة أنهم لا حَقَّ لهم في ميزة عقلية أو روحية، ما هو إلا مكابرة ومعاندة، لا تقوم على دليل، ولا يناصرها برهان، والرازي في دعواه هذه يبعد بنفسه عن واقع الحياة، أو قل: إنه يحاول أن يتناسى واقع الحياة وما فيه من صور المفاضلة المتعددة، سواء بين الناس، أو في العلم، أو في الرزق، أو في القوة، أو في الصحة.

إن رفض الرازي لتخصيص الله تعالى بعض البشر بنزول الرسالة أو النبوة عليهم، وادعاؤه أن هذا ظلم قبيح، وجور بغيض، هذا الرفض يلزم عليه: «التسوية بين الخلائق في أحوالهم، وأن لا تفاوت بين أفعالهم، بحيث لا يكون هذا عالما وهذا جاهلا، لا هذا زمنا وهذا ماشيا، ولا هذا أعمى وهذا بصيرا، إلى غير ذلك من أنواع التفاوت في الكمالات، وحصول الملاذ والشهوات»[1] وهذا منه فكر قبيح، وعقيدة سخيفة، لأن واقع الحياة يقول: إن المفاضلة شيء ملموس ومحسوس نراه هنا وهناك، ولولا هذه المفاضلة لتعطلت مصالح الناس وأمور حياتهم، بل قد يؤدي الأمر - لو لم تكن هناك مفاضلة - إلى نهاية الحياة وهلاك الكون.

ولولا الميزة العقلية والجسمية لهذا أو لذاك، لما كان هناك قائد للجيش ينظم ويخطط ويدرب، وجندي يتلقى التنظيم والتدريب، ليكون مؤهلا للدفاع عن الأوطان.

ولولا الميزة الخاصة لما كان هناك قاض يحكم، ومجرمون يرتكبون السيئات، ومعلم يعطي العلم، وطالب يتلقى هذا العلم، ومهندس يخطط المدن وينظم البلاد، وعامل يطبق النظام وينفذ التخطيط.

إن العقل البصير والنفس المؤمنة الطيبة ترى في عدم المساواة بين الخلق عدلا وحكمة عالية، إذ لولا هذا - بحيث كنا جميعا على درجة واحدة من الصحة والمال والقوة - لتقاتلنا، ولتدافعنا، فضاعت الحياة، وهلك الكون.

ولو كنا جميعا مرضى وفقراء وضعفاء وجهلاء، لماتت حياتنا كسلا وخمولا،

(١) سيف الدين الآمدي، غاية المرام في علم الكلام ص ٣٢٦.

لكن شاءت رحمة الله تعالى: أن يرفع بعضنا على بعض، لتستمر الحياة، ويعمر الكون، قال عز وجل: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[1]

يقول الزمخشري تفسيرا لهذه الآية: «هذه الهمزة: للإنكار المستقل، والتجهيل، والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم، وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها، ويقوم بها، والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته، ثم ضرب لهم مثلا فأعلم: أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم، وما يصلحهم في دنياهم، وأن الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها، ودبر أحوالهم تدبير العالم بها، فلم يسو بينهم، ولكن فاوت بينهم في أسباب المعيشة، وغاير منازلهم فجعل منهم: أقوياء، وضعفاء، وأغنياء، ومحاويج، وموالي، وخدما، ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم، ويستخدموهم في مهنهم، ويتسخروهم في أشغالهم، حتى يتعايشوا، ويترافدوا، ويصلوا إلى منافعهم، ويحصلوا على مرافقهم».[2]

وهل ينكر الرازي الطبيب: أنه وهو في مهنة الطب قد أدرك تفاوتا في عقول الناس، فبينما هذا يتقد ذكاء وفطنة، إذ بذاك أبله وأحمق؟

وكيف صار الرازي نفسه طبيبا، وغيره لم يستطع الوصول إلى هذا القدر وهذه المكانة؟ أليس هذا راجعا إلى أن الله سبحانه وتعالى قد اختصه بميزة ليست عند هذا النجار، أو ذاك الحداد، أو ذاك البناء؟

إنه «لمن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول إليها، أن لا يسلم بأن من النفوس البشرية ما يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ماتستعد به من محض الفيض الإلهي لأن تتصل بالأفق الأعلى، وتنتهي من الإنسانية إلى الذروة العليا، وتشهد من أمر الله شهود العيان، ما لم يصل غيرها إلى تعقله، أو تحسسه بعصا الدليل والبرهان، وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحا على ما يتلقاه أحدنا عن أساتذة التعليم، ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعلم ما علمت،

(١) سورة الزخرف / ٣٢.

(٢) الزمخشري (أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (دار المعرفة، بيروت، لبنان) م ٣ ص ٤٨٦.

ودعوة الناس إلى ما حملت على إبلاغه إليهم، وأن يكون ذلك سنة الله في كل أمة، وفي كل زمان، على حسب الحاجة»[1].

وكيف لا يجيز الرازي تفضيل الله لبعض الناس بالنبوة والرسالة؟ علما بأننا نحن البشر نفضل بعض نسائنا على بعض، فلا نساوي بينهن، إن لم يكن في كل شيء فعلى الأقل في المحبة القلبية، ونفضل بعض أبنائنا على بعض، إن لم يكن بدون سبب فعلى الأقل لأمر تقتضيه التربية والرعاية، ونفضل بعض أصدقائنا على بعض، أو بعض خدمنا على بعض.

يقول صاحب التمهيد في مجال الرد على منكري النبوات: «يقال لمن أحال من الله سبحانه إنفاذ رسول إلى خلقه: لم قلت ذلك وما دليك؟ فإن قال: لعلمي بأن الرسول من جنس المرسل إليه، وأن جوهرهما واحد، وأن تفضيل أحد المتماثلين المتساويين على مثله ونوعه ومن هو بصفته حيف ومحاباة، وجنف وميل، وخروج عن الحكمة، وذلك غير جائز على القديم.

يقال لهم: لم قلتم: إن تفضيل الله سبحانه بعض الجنس على بعض ورفع بعضهم على بعض إذا كان محاباة للمفضل وجب أن يكون ظلما وخروجا عن الحكمة؟ وما أنكرتم أن يكون لله تعالى أن يخص بتفضيله وإكرامه من يشاء من خلقه، وله التسوية بين سائرهم، وأن ذلك أجمع عدل منه، وصواب من تدبيره؟

فإن قالوا: لأن تفضيل أحد المتجانسين على الآخر في الشاهد سفه منا، فوجب القضاء بذلك على القديم.

قيل لهم: ولم قلتم : إن ذلك سفه منا؟وما أنكرتم من أنه جائز لنا وصواب في حكمتنا: أن نحبو بعض عبيدنا وأصدقائنا والمتصرفين معنا كتصرف غيره بأكثر مما نحبو به غيره، ونفضله بعطاء وتشريف لا يستحقه، أكثر مما نحبو به غيره؟ فلم قلتم : إن ذلك سفه وقبيح من فعلنا؟»[2].

وإذا كان الله قد اختار رسله وأنبياءه بالفعل، وكلفهم بالرسالات والنبوات ورأيناهم وشاهدنا دعوتهم وتعاليمهم، فإن رفض الرازي لنبوة الأنبياء وادعاءه بأن

---

(١) الشيخ محمد عبده، رسالة التوحيد (طبعة جريدة الشعب المصرية) ص ٩٠.

(٢) الباقلاني (القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني) كتاب التمهيد (تصحيح مكارثي، سنة ١٩٥٧ م) ص ١٠٤.

هذا ظلم وجور، يعد منه اعتراضا على فعل الله تعالى وإرادته، وتدخلا في تصريفه تعالى للكون، وهذا لا شك كفر صريح، وارتداد عن الدين الحق دين الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1].

وأخيرا نقول للرازي: إن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق، والاختيار من المخلوقات، كما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾[2].

وليس المراد ها هنا بالاختيار: الإرادة، وإنما المراد بالاختيار ها هنا: الاجتباء والاصطفاء، فهو اختيار بعد الخلق. فكما أنه تعالى هو المتفرد بالخلق، فهو كذلك المتفرد بالاختيار لرسالاته، لأنه سبحانة وتعالى أعلم بمواقع اختياره ومحال رضاه، وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه من الوجوه[3].

وبعد:

فإن مثل منكري النبوات في الجحود والنكران والعناد، كمثل منكري الشمس وسط النهار، فإذا كان لا يضير الشمس جحود أعمى البصيرة لها ولهم، فضوء الشمس يشق ظلام الليل فيبدده، ونور النبوات يشق ظلام الضلال فيبعثره، وحقا «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور».[4]

ولن يضر الأنبياء إنكار المنكرين، لأن الله قد أرسلهم بالفعل، ووجودهم قد تحقق في واقع الحياة، والوجود الخارجي، وشاهده المؤمن والكافر على حد سواء، وتعاليمهم ما زالت قائمة بيننا، نستمد منها الحياة الصالحة، والضياء الذي ينير لنا الطريق، ولذلك فإن ادعاء استحالتهم مكابرة للحس، ومعاندة للمشاهدة، ومناطحة للصخر، لن تفيد في شيء، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الشاعر:

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل.

---

(١) سورة آل عمران / ٨٥.
(٢) سورة القصص /٦٨.
(٣) ابن القيم (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدى خير العباد (ط ٣ سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) جـ١ ص ٣٩١.
(٤) سورة الحج ٤٦.

المبحث الثالث: المثبتون للنبوات المنحرفون عن حقيقتها.
أولا: الفلاسفة:

يرى بعض علماء الكلام[1]: أن فلاسفة الإسلام الإلهيين تنكر النبوات، وأن ما يظهر في كتبهم من إعلان الإيمان بالأنبياء والتصديق بدعوتهم فهو تمويه، مخالف لحقيقة أمرهم.

وقد أصدر هؤلاء العلماء حكمهم هذا مستندين في ذلك على عدة أسباب:
١ ـ أن هؤلاء الفلاسفة قد أنكروا جميع ما تتوقف عليه البعثة، من مثل إنكارهم كونه تعالى عالما بالجزئيات، وإنكارهم نزول الملك والوحي (السمرقندي).
٢ ـ إنكارهم خرق العادات، واعتقادهم أن هذا ارتباط عقلي، كمثل إنكارهم قلب العصا حية، وإحياء الموتى.. الخ (الكلاني).
٣ ـ لقولهم: إن العلوم الربانية بعد كمال العلوم الرياضية من الفلسفة والهندسة ليضعها[2] من كملت رياضته إذا كان عليها مطبوعا؟ (الماوردي).

وأيا ما كان السبب الذي اعتمد عليه هؤلاء العلماء في تصنيف الفلاسفة ضمن المنكرين للنبوات، فإن هذا الحكم ينطبق على الفلاسفة باعتبار الحال، لا باعتبار المقال، إذ أننا لا نجد منهم قولا صريحا بإنكار النبوات، ولو كان أحدهم حيا معنا الآن وسألناه: هل تنكر النبوات والأنبياء؟ لنفي هذا عن نفسه وعن جماعته، ولقال حاشا لله أن ننكر ـ نحن الفلاسفة ـ الأنبياء والنبوات، فنحن نعترف بذلك، بل إننا آكد في إثبات هذا، وأقوى في الاعتراف به، لأننا نقول بوجوبها.

وحقيقة الأمر: أن فلاسفة الإسلام الإلهيين قد أعلنوا إيمانهم بالنبوة والأنبياء، وتصديقهم برسل الله وأنبيائه، لكن على طريقة مخالفة لما عليه علماء الكلام وأهل السنة والجماعة، فهم مع إيمانهم هذا قد فسروا النبوة تفسيرا خاطئا، انحرف بهم

---

(١) السمرقندي في كتابه الصحائف الإلهية ص ٤١٩، والماوردي في كتابه أعلام النبوة ص ٢١، والكلاني في كتابه لباب العقول ص ٢٣٠.

(٢) اي ليستغني عنها اكتفاء بالعلوم الرياضية التي هي الفلسفة والهندسة.

(٣) الآمدي في كتابه غاية المرام ص ٣١٨ وابن الهمام في المسامرة ص ١٩٠ ومحمد محي الدين عبدالحميد في كتابه النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد ص ١٧٦، وابن تيمية في شرح العقيدة الأصفهانية ص ٩٣ من المجلد الخامس من فتاويه.

عن حقيقتها، وحقيقة الأنبياء، وحقيقة الوحي الذي جاءوا به تلقينا من رب العالمين، مما حدا بالبعض أن ينسبهم إلى الإنكار، كما ذكرنا سابقا.
أما أول هذه الإنحرافات فهو قولهم: بوجوب النبوة على الله تعالى وجوبا عقليا.

فالفلاسفة ترى: أن النوع الإنساني أشرف موجود على الأرض، وقولهم هذا حق يؤيده قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

أما سبب هذه الأفضلية عند الفلاسفة: فهو أن النوع الإنساني ذو نفس ناطقة، وبين هذا النفس الناطقة والجواهر الكروبية[2] والجواهر الروحانية[3] قُرْب نِسْبِي، هذا القرب النسبي استلزم ـ لزوما وجوبيا ـ حول لطف المبدأ الأول ـ وهو الله عندهم ـ وإفاضة جوده على هذا النوع الإنساني، كي تتم للإنسان النعمة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

وسعادة الإنسان في هذه الدنيا لا تتحقق إلا بوجود تعاون بين بني الإنسان، وهذا يستدعي: وجود عقود، وشركات، ومعاملات، وبيوع وإجارة، ومناكحات.. الخ، ولا تتم مثل هذه الأمور على الوجه الأفضل إلا بانقياد بعضنا لبعض وتسخير بعضنا لبعض، وهذا لا يتحقق بدون ترغيب وترهيب ديني، وسنن وآثار يسير الناس على هديها، وهذا لا يكون أبدا بدون مشرع يخاطب الناس، ويعرفهم بما لهم وبما عليهم، وفاء بموجب عناية المبدأ الأول بهم.[4] وهذا ما عناه ابن سينا بقوله: «لما لم يكن الإنسان بحيث يستقل وحده بأمر نفسه إلا بمشاركة آخر من بني جنسه، وبمعاوضة[5] ومعارضة[6] تجريان بينهما، يفرج كل واحد منهما لصاحبه عن

---

(١) سورة الإسراء / ٧٠.
(٢) الملائكة المقربون، يقول ابن كثير في كتابه البداية والنهاية م ١ جـ١ ص ٤٩ ط ٣ ١٩٧٩ م «ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة الى ما هيأهم الله له أقسام فمنهم حملة العرش كما تقدم ذكرهم، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش وهم الملائكة المقربون كما قال الله تعالى: **﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون﴾**.
(٤) هي العقول والنفوس المجردة (انظر: التعريفات للجرجاني ص ٨٣).
(٥) المعاوضة: أن يعطي كل واحد صاحبه من عمله بإزاء ما يأخذه منه من عمله (شرح نصير الدين الطوسي على الإشارات والتنبيهات).
(٦) المعارضة: أن يعمل كل واحد مثل ما يعمله الآخر (شرح الطوسي على الإشارات).

مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد الكثير، وكان مما يتعسر إن أمكن، وجب أن يكون بين الناس معاملة وعدل، يحفظه شرع، يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة، لاختصاصه بآيات تدل على أنها من ربه، ووجب أن يكون للمحسن والمسيء جزاء من عند ربه القدير الخبير، فوجب معرفة المجازي والشارع»[1].

يقول نصير الدين شارحا لهذا النص: «المعاملة والعدل لا يتناولان الجزئيات غير المحصورة، إلا إذا كانت قوانين كلية، وهي الشرع، فإذن لابد من الشريعة... والشرع لابد له من واضع يقنن تلك القوانين، ويقررها على الوجه الذي ينبغي، وهو الشارع... (و) يجب أن يمتاز الشارع منهم باستحقاق الطاعة... واستحقاق الطاعة إنما يتقرر بآيات تدل على كون الشريعة من عند ربه، وتلك الآيات هي معجزاته.. فإذن لابد من شارع هو نبي ذو معجزة»[2].

وهذا الرأي الفلسفي هو خلط وتخبيط، سببه تلبيس إبليس عليهم، وقد خرجوا بهذا الهراء عن جماعة المسلمين، لأن الله سبحانه وتعالى فاعل بالاختيار، فلا يفعل شيئا لعلة، ولا يجب عليه شيء أبدا، حتى لو كان هذا الشيء هو بعث الرسل وإرسال الأنبياء، لأنه عز وجل إن شاء أعطى النبوة لمن يشاء، وإن شاء أمسكها فلا يعطيها لأحد، وإعطاؤها لرسله وأنبيائه الذين اختارهم وأرسلهم بالفعل هو مِنْهُ تعالى: مِنْحَةٌ، وعطاءٌ، ومنّة، وإحسان، تفضل به على خلقه وعبيده، قال عز وجل ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3].

وإذا كانت النبوات: منّةً، وإحسانا، ورحمة رحم الله بها عباده المؤمنين، وإذا كانت الرسالات رحمة للناس أجمعين، كما قال سبحانه عن رسوله محمد ـ ﷺ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[4]، إذا كانت النبوات بهذه المثابة لم تكن واجبة على الله تعالى، لأن الرحمة لا تفرض على الإنسان المخلوق، فكيف تفرض على الخالق

---

(١) ابن سينا (أبو علي الحسين بن سينا) الإشارات والتنبيهات (شرح الطوسي، تحقيق د/ سليمان دنيا، دار المعارف) القسم الثالث والرابع ص ٨٠٢.

(٢) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٣) الأنعام / ١٢٤.

(٤) الأنبياء / ١٠٧.

سبحانه وتعالى؟، والإنسان لا يجبر على الإحسان ـ وإلاَّ لَمْ يكن إحسانا ـ فكيف يكون واجبا عليه تعالى الاحسانُ إلى الناس : بإرساله للرسل وبعثه لأنبيائه؟

والفلاسفة بإيجابهم بعث الأنبياء والرسل ـ لأن في هذا صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة ـ قد انخرطوا في سلك المعتزلة الذين يقولون بالصلاح والأصلح، وأنه تعالى يجب عليه فعل الأصلح للإنسان في دينه ودنياه.[1]

وقضية الصلاح والأصلح ليست مجال دراسة في هذا البحث، وإنما فقط نشير: إلى أن إيجاب شيء على الله تعالى لأنه الأصلح للنوع الإنساني ـ كما تقول الفلاسفة ـ وفيه سعادة الدنيا والآخرة. تترتب عليه مفاسد كثيرة.
منها: «أن القربات من النوافل صلاح، فلو كان الصلاح واجبا وجبت وجوب الفرائض.
ومنها: أن خلود أهل النار يجب أن يكون صلاحا لهم، دون أن يردوا فيعتبوا ربهم، ويتوبوا إليه.
. . . ومنها: أن عدم خلق إبليس وجنوده أصلح للخلق وأنفع، وقد خلقه الباري جل شأنه، وأيضا: إنظاره، وتمكينه، وتمكين جنوده، وجريانهم من الآدمي مجرى الدم»[2] كل هذا ينافي ما عليه الفلاسفة من وجوب ما فيه من صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة، على الله تعالى.

أما ثاني هذه الإنحرافات : فذلك هو طريقتهم في إثبات النبوات، والوصول إلى درجة الإنباء والانبعاث. فالفلاسفة ترى : أن مصدر المعرفة والوحي والإلهام : هو العقل الفعال، الذي هو: «أحد العقول العشرة المتصرفة في الكون، وهو نقطة الاتصال بين العبد وربه، ومصدر الشرائع والقوانين الضرورية للحياة الخلقية والاجتماعية»[3].

فإذا كان العقل الفعال هو مصدر الشرائع والقوانين الضرورية ـ وهذه هي التي جاءت بها الرسل والأنبياء ـ كان للنبي اتصال بالعقل الفعال، لأنه هو الذي يوحي إليه بهذه الشرائع والقوانين، لكن النبي لا يستطيع الوصول إلى هذا العقل

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل جـ١ ص ٥٢.
(٢) السفاريني، لوامع الأنوار الإلهية جـ١ ص ٣٣٠.
(٣) د/ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية جـ١ ص ٧٢.

الفعال واستمداد الشرائع والقوانين منه مباشرة بدون واسطة، وإنما لابد من واسطة بين النبي وهذا العقل الفعال مصدر الشرائع والقوانين، هذه الواسطة : هي القوة المتخيلة.

وهذه القوة المتخيلة قد تكون عند إنسان قوية، وقد تكون عند إنسان آخر ضعيفة، وبمقدار قوتها وضعفها، وكمالها ونقصها، يكون اتصالها بالعقل الفعال، أَوْلَا يكون، وبمقدار انشغالها بالمحسوسات وتأثرها بها، أو عدم تأثرها بها، تكون الفرصة سانحة للاتصال بالعالم القدسي، أو غير سانحة.

فكمال القوة المتخيلة، وبعدها عن الاشتغال بالمحسوسات أو الخضوع للقوة الناطقة، يؤهلها للاتصال بالعقل الفعال، وهذا الاتصال يؤدي إلى انتقاشها بصورة معكوسة عليها من هذا العقل الفعال في غاية الجمال والكمال، وقد يرى صاحب هذه المتخيلة القوة الكاملة ـ في حال يقظته ـ عن العقل الفعال ما يؤهله لكي تكون لديه نبوة بالأشياء الإلهية. يقول الفارابي:

«إن القوة المتخيلة إذا كانت في إنسان ما قوية كاملة جدا، وكانت المحسوسات الواردة عليها من الخارج لا تستولي عليها استيلاء يستغرقها بأسرها، ولا أخدمتها للقوة الناطقة، بل كان فيها مع اشتغالها بهذين فضل كثير، تفعل به أيضا أفعالها التي تخصها، وكانت حالتها عند اشتغالها بهذين في وقت اليقظة مثل حالها عند تحللها منها في وقت النوم . . . (اتصلت بالعقل الفعال، وانعكست عليها منه صور في نهاية الجمال والكمال). . . . ورأى الأشياء عجيبة لا يمكن وجود شيء منها في سائر الموجودات أصلا، ولا يمتنع أن يكون الإنسان إذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال أن يقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة، أو محاكياتها من المحسوسات، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة، وسائر الموجودات الشريفة ويراها، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية، فهذا أكمل المراتب التي تنتهي إليها القوة المتخيلة، وأكمل المراتب التي يبلغها الإنسان بقوته المتخيلة»[1].

وهذا المعنى نفسه هو الذي عَلَيْهِ ابن سينا حيث قال:
«إذا قلّت الشواغل الحسية وبقيت شواغل أقل، لم يبعد أن يكون للنفس فلتات

---

(١) الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة (مطبعة صبيح) ص ٦٨/ ٦٩.

تخلص عن شغل التخيل إلى جانب القدس، فانتقش فيها نقش من الغيب. . . فإذا طرأ على النفس نقش انزعج التخيل إليه، وتلقاه أيضا. . . فإذا قبله التخيل حال تزحزح الشواغل عنه انتقش في لوح الحس المشترك.

فإذا كانت النفس قوية الجوهر تسع إلى الجوانب المتجاذبة، لم يبعد أن يقع لها هذا الخلس والانتهاز في حال اليقظة، فربما نزل الأثر إلى الذكر فوقف هناك، وربما استولى الأثر فأشرق في الخيال إشراقا واضحا، واغتصب الخيال لوح الحس المشترك إلى جهته، فرسم ما انتقش فيه منه. . . وإذا فعل هذا صار الأثر مشاهدا مبصرا أو هتافا أو غير ذلك، وربما تمكن مثالا موفور الهيأة أو كلاهما محصل النظم، وربما كان في أجمل أحوال الزينة»[1].

وإذن فالنبي في رأي أكبر شخصيتين من فلاسفة المسلمين ـ الفارابي وابن سينا ـ يكون له اتصال بالعقل الفعال عن طريق المخيلة التي بها يصل إلى ما يعرفه من إدراكات وحقائق.
إما على أنها رؤيا صادقة، أو يدركها على صورة من صور الوحي الأخرى، كلاما أو غير كلام.

وبهذا التصور الفلسفي يكون الوحي الإلهي الذي يأتي به النبي فيضا من الله تعالى، قد أتاه عن طريق العقل الفعال بواسطة القوى النفسية التي أهمها القوة المتخيلة: «التي تغذي الرغبة والشوق بما يؤججها ويدفعها إلى السير في الطريق حتى النهاية، هذا إلى أنها تحتفظ بالآثار الحسية، وصور العالم الخارجي، المنقولة إلى الذهن عن طريق الحواس، وقد لا يقف عملها عند ادخار الصور الذهنية والاحتفاظ بها، بل تخلق منا قدرا مبتكرا لا تحاكي فيه الأشياء الحسية. . . ومن الصور الجديدة التي تخترعها المخيلة تنتج الأحلام والرؤى»[2].

وهذا التفسير الفلسفي لصدور الوحي عن الله تعالى وتلقي النبي له، يتعارض مع الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب، حيث ذكرت طرقا للوحي ووسائل أخري غير التي قالت بها الفلاسفة، فقد روى مسلم: أن الحارث بن هشام ـ رضي الله عنه ـ سأل النبي ـ ﷺ ـ كيف يأتيك الوحي؟ فقال: (أحيانا يأتيني مثل

(١) ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ص ٨٧٨ ـ ٨٨٠.
(٢) د/ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية جـ ١ ص ٧٣.

صلصة الجرس، وهو أشده علي، ثم يفصم عني وقد وعيته، وأحيانا ملك في مثل صورة الرجل، فأعي ما يقول» فمجيء الوحي في صورة الصلصة، وكذا مجيء الملك رجلا يكلم رسول الله ﷺ، ينفي نظرية الفلاسفة في النبوة والأنبياء، وكيفية مجيء الوحي إليهم، وتلقيهم إياه.

وإذا أمعنا النظر والتفكير في مقولة الفلاسفة ـ ممثلين في الفارابي وابن سينا ـ هذه، وجدنا هؤلاء الفلاسفة قد ساووا بين النبي والفيلسوف، لأن كلا منهما «يحظى في الواقع بالاتصال بالعقل الفعال الذي هو مصدر الشرائع والقوانين الضرورية لنظام المجتمع، وكل ما بينهما من فارق: أن الأول (وهو النبي) يحظى بهذا الاتصال عن طريق المخيلة، والثاني (وهو الفيلسوف) عن طريق البحث والنظر»[1].

وهذا الفارق في وسيلة الاتصال بالعقل الفعال ـ حسب نظرية النبوة الفلسفية ـ يضع النبي في مرتبة أقل وأدنى من مرتبة الفيلسوف، لأن وصول النبي إلى معرفة الحقائق الثابتة وإدراكها يكون عن طريق المخيلة، أما الفيلسوف فهو يدرك هذه الحقائق الثابتة بواسطة العقل والتأمل، ولا شك في أن المعلومات العقلية أفضل وأعلى قدرا من المعلومات المتخيلة، لأن الأولى تأتي عن إدراك ووعي، والأخرى لا يتحقق فيها هذا الوعي ومعرفة الأمور معرفة دقيقة، فقد يجنح الخيال، وقد تسأم المخيلة، وقد يشوش عليها من المحسوسات.. الخ.

وحتى لو افترضنا أن القوة القدسية التي قال بها الفارابي والتي جعلها مختصة بالنبوة هي العقل،[2] فإن هذا أيضا يوقعنا في إشكال جديد، هو أن النبوة تتحصل عند النبي بطريق الفكر والتأمل، وهذه وسيلة مشتركة بين النبي وعامة الناس، حيث الكل يصل إلى المعارف العليا عن طريق العقل والفكر والتأمل، وهذا يدخل بنا إلى مشكلة أخرى، وهي أن النبوة تكون في عداد المدركات العقلية يصل إليها من كان له عقل يستطيع به أن يفكر ويتأمل، وهذا القول بعيد عن الدين، يبرأ منه السلف الصالح وعلماء الكلام، بل كل مسلم متدين بحق يراه زيفا وباطلا.

على أن الفلاسفة حين جعلوا اتصال النبي بالعقل الفعال يكون بواسطة القوة المتخيلة، اشترطوا أن تكون هذه المتخيلة قوية، وأن تكون بعيدة عن الاشتغال

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٦.

(٢) د/ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ص ٩٧.

بالمحسوسات، وأن تكون حالها في اليقظة ـ وقت اشتغالها بالمحسوسات والنفس الناطقة ـ مثل حالها عند تحللها منها في وقت النوم، لكن قد لا تتحقق مثل هذه الشروط في نفس النبي، فالرسول بشر[1]، وبمقتضى هذه البشرية قد تكون المخيلة ضعيفة عنده في بعض الأحيان، وقد تشتغل بالمحسوسات في وقت من الأوقات، وقد لا تتحقق المماثلة في حالة اليقظة بحالة النوم، وحينئذ لو افترضنا فيلسوفا كانت مخيلته قوية، بعيدا عن الاشتغال بالمحسوسات، وكانت حال قوته المتخيلة في اليقظة مماثلة لحالها وقت النوم، فإن هذا يؤدي بالفلاسفة إلى القول: بأن الفيلسوف أعلى قدرا ومنزلة من النبي، وهذا لاشك حكم باطل أدى إليه اعتماد هؤلاء الفلاسفة على وسائل خيالية، وطرق بشرية، لا علاقة لها بوحي السماء، إذ هذا فوق مقدور البشر فكرا وإدراكا.

وكما قالت الفلاسفة: فإن الواسطة بين الله وأنبيائه في تلقي الوحي والإلهام والقوانين الضرورية والشرعية هو العقل الفعال، وهذا يتعارض مع ما قال به الدين، حيث يجمع المسلمون من السلف الصالح، وأهل الكلام: على أن الواسطة بين الله وبين الأنبياء والرسل هو الملك،قال تعالى:﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[2] قال مجاهد في هذا النزول بأنها ـ أي الملائكة ـ تنزل بالرسالة والعذاب[3].

ولا يقبل قول من قال: إن الاختلاف بين الفلاسفة وجمهور المسلمين إنما هو في التسمية فقط، فما يسميه جمهور المسلمين ملكا، يسميه الفلاسفة عقلا فعالا، لا يقبل هذا القول لعدة أسباب:

١ ـ أن العقول عند الفلاسفة عشرة، أما الملائكة فلا يحصى عددهم إلا الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ

---

(١) أخرج البخاري عن أم سلمة أن النبي ﷺ سمع خصومة بباب حجرته فقال: «إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها» اللؤلؤ والمرجان، حديث رقم ١١١٤، يقول شارح الحديث» إنما أنا بشر أتى به للرد على من زعم أن من كان رسولا يعلم الغيب فيطلع على بواطن الأمور.

(٢) الحجر/ ٨.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٥٤٧.

﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[1]، فالملائكة حسب هذا النص القرآني أكثر من العقول العشرة ، بكثير ، ولا يحصي عددهم إلا خالقهم سبحانه وتعالى.

٢ ـ الملائكة ذوات منفصلة موجودة بالخارج، فإن كنا لا نراها ولاندركها، فإن الأنبياء تراها وتتحدث معها، ففي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: «لم أره (يعني جبريل) على صورته التي خلقه الله عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء، عظم خلقه ما بين السماء والأرض»[2]، وفي سنن الترمذي من طريق مسروق عن عائشة: «لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد».[3]

أما العقول التي قال بها الفلاسفة: فهذه ليست ذواتا موجودة ومتحققة في الوجود الخارجي، ولا تتحدث ولا تتكلم وليست لها صورة.

٣ ـ الملائكة تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، وتتشكل بأشكال مختلفة، منها هذه الأشكال البشرية، فقد كان الملك يتمثل لرسول الله ـ ﷺ ـ رجلا فيخاطبه بوحي الله تعالى، ففي صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ حين جاءه جبريل وسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان وأخبره عن علامات الساعة، قال عليه السلام لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه» «أتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[4] هذه بعض صفات الملائكة، لكن العقول عند الفلاسفة لا تقوم بمثل هذه الأعمال، ولا تتشكل بأي شكل من الأشكال لأنها عندهم ذوات ذهنية، لا وجود لها في الأعيان.

---

(١) سورة المدثر / ٣١.

(٢) صحيح مسلم بشرح إكمال إكمال المعلم (دار الكتب العلمية) جـ ١ ص ٣٢٨، وأيضا: عارضة الأحوذي بشرح الترمذي جـ ١١ ص ١٨٩ تفسير سورة الأنعام.

(٣) صحيح الترمذي (تصحيح / عبدالرحمن عثمان (الناشر / محمد عبدالمحسن الكتبي) جـ ٥ ص ٦٩ حديث رقم ٣٣٣٢.

(٤) مسلم بشرح النووي (كتاب الشعب) م ١ ص ١٣٥.

٤ ـ الملائكة مخلوقة، كما قال عز وجل في كتابه الحكيم : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ[١] ﴾ وكما في قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ[٢] ﴾.

أما العقول عند الفلاسفة فهي متولدة من بعضها البعض، بفعل تطلع الأدنى إلى الأعلى، استشفافا لنوره وضيائه.

وينسب صاحب المواقف إلى الفلاسفة : أنهم لا يقولون بملائكة يرون، بل الملائكة عندهم إما نفوس مجردة في ذواتها متعلقة بأجرام الأفلاك، وتسمى ملائكة سماوية، أو عقول مجردة ذاتا وفعلا، وتسمى بالملأ الأعلى، ولا كَلَامَ لَهم يسمع، لأنه من خواص الأجسام، إذ الحرف والصوت عندهم من الأمور العارضة للهواء المتموج كما سلف، فلا يتصور كلام حقيقي للمجردات»[٣]

٥ ـ الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله يقتضي من المسلم الالتزام بما جاء فيهما، وقد أطلق القرآن والسنة النبوية على هذه المخلوقات النورانية اسم الملائكة، فلا يجوز ولا يصح لأحد أن يحيد عما قال به القرآن والسنة، إذ كيف نفضل ما قال به اليونان على ماجاء بهالقرآن؟

وإذا كان الفلاسفة قد انحرفوا في إيجابهم النبوة على الله تعالى، وفي جعلهم العقل الفعال واسطة بين الله وأنبيائه، فإنهم أيضا قد انحرفوا حين أرادوا بيان حقيقة النبي، وكيف تأهل للنبوة والرسالة.

فالفلاسفة ترى: أن النبي قد اختصه الله بثلاث خصائص لم تكن لغيره من البشر، هذه الخصائص هي التي بها استحق النبوة أو الرسالة، أما تلك الخصائص فهي :

الخصوصية الأولى : أنه ـ أي النبي ـ ذو قوة قدسية، هي القوة الحدسية التي يستطيع بواسطتها أن يحصل على العلوم والمعارف بلا تعلم.

---

(١) فاطر / ١.

(٢) الصافات ١٤٩ / ١٥٠.

(٣) عضد الدين الإيجي، المواقف ص ٢٢١.

الخصوصية الثانية: أنه ذو قوة تخيلية يستطيع بواسطتها أن يتخيل ما يعلمه، فيرى في نفسه صورا نورانية، ويسمع في نفسه أصواتا، مثله في هذا كمثل النائم الذي يرى في نومه صورا تكلمه، ويسمع منها كلاما.
الخصوصية الثالثة: أنه ذو قدرة على التصرف في هيولى[1] العالم، بإحداث أمور غريبة يراها الناس، فيتعجبون منها.

فالنبي عند الفلاسفة المسلمين «بشر زاكي طاهر متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدارك وسرعته، لينال من العلم أعظم مما يناله غيره، وقوة النفس، ليؤثر في هيولى العالم بقلب صورة إلى صورة، وقوة التخييل، ليخيّل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة»[2].

حين ننظر في هذه الأفكار الفلسفية نجد أن فلاسفة الإسلام لا يُعْلُون من مكانة الرسل والأنبياء بقدر ما ينزلون بها، ذلك أن هذه الخصائص التي يقول بها ابن سينا ـ وغيره من الفلاسفة المسلمين ـ ليست أمرا خاصا بالأنبياء والرسل ـ كما يدعي هؤلاء الفلاسفة ـ وإنما هي أمر مشترك بين جميع الناس، بل قد يحصل للكفار والمشركين من العلم والمعرفة والإدراك ما يتميز به عن غيره من أقرانه، فيكون له حدس وفراسة تجعله أفضل من غيره من الناس، والتخييل يحدث لكثير من الناس، إذ لا شك في أن كثيراً من الناس يرون في منامهم أشياء غريبة يتخيلونها، بل إن من الناس ـ الذين ليسوا بأنبياء ورسل ـ مَنْ يحدث له في اليقظة ما يحصل لغيره في المنام.

والفلاسفة بهذا التحليل يجعلون النبوة هدفا سهل المنال، وأمرا مكتسبا لكل من يستطيع الوصول والحصول على النظر والتأمل، «فمن لازم الخلوة والعبادة، وداوم على المراقبة، وتناول الحلال، وإخلاء نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة، انصقلت مرآة باطنه، وفتحت بصيرة لبه، وتهيأ لما يتهيأ لغيره من التحلي بالنبوة».[3]

---

(١) الهيولى لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل الصورتين الجسمية والنوعية، (كتاب التعريفات للجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٦٩ م) ص ٢٧٩.
(٢) علي بن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧١.
(٣) السفاريني، لوامع الأنوار البهية جـ ٢ ص ٢٦٨.

وواقع المؤمنين الأتقياء يبطل هذه الدعوى، فلقد رأينا كثيرا من الناس يلازمون الخلوة والعبادة، ويداومون على المراقبة، وتناول الحلال. . . الخ لكننا ما رأينا النبوة قد جاءتهم، أو أن الله قد اختارهم لرسالاته.

وما أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم من الصحابة الكرام ـ عنا ببعيد، فلقد بلغ هؤلاء الصحابة الأجلاء شأوا عظيما في العبادة، والمراقبة، والرياضات النفسية. . الخ، لكننا لم نجدهم أنبياء، ولم يأتهم العقل الفعال بوحي من السماء من قبل الله تعالى، وتشريع يلتزم به الناس، ولم نشاهد لهم معجزات، وأعلام النبوة تقول للناس: هذا نبي، أو هذا رسول.

والسلف الصالح، وجمهور المسلمين: على أن النبوة فضل من المولى عز وجل، وهبة منه تعالى، ومنة يهبها لمن يشاء من عباده المؤمنين الصالحين، وأن من زعم أنها مكتسبة كان من الزنادقة المارقين عن الإسلام، ووجب قتله[1]، لأن مقتضى هذا الادعاء: أن تكون النبوة باقية دائما وأبدا، وأن لا تنقطع طالما وجد من تكون عنده المقدرة على سلوك هذا الطريق من الرياضة والعبادة، والخلوة والصفاء النفسي، وكانت لديه الخصائص الثلاث التي قال بها هؤلاء الفلاسفة، ومثل هذا القول يتنافى مع منطوق ومفهوم قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.[2]

ولقد أنكر علماء الكلام على الفلاسفة هذا الرأي منهم، لأن الحق عندهم في هذه المسألة أن:

«النبوة ليست صفة راجعة إلى النبي، ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه، ولا استعدادا نفسيا يستحق به اتصالا بالروحانيات، بل رحمة يمن الله بها على من يشاء من عباده»[3]. وعموما، فإن أهل السنة والجماعة يرون: أن النبوة ليست مكتسبة، وإنما هي منحة واختيار، واصطفاء من المولى عز وجل، فالنبي قد اختاره الله تعالى وهيأه واصطفاه لتلقي الوحي والاتصال بالملائكة، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) الأحزاب / ٤٠.

(٣) الشهرستاني، نهاية الاقدام ص ٤٦٢.

﴿يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[1]، فكما يصطفيهم من الخلق قولا بالرسالة والنبوة ، يصطفيهم من الخلق فعلا بكمال الفطرة ، ونقاء الجوهر، وصفاء العنصر، وطيب الأخلاق، وكرم الأعراق، فيرفعهم مرتبة مرتبة، حتى إذا بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة، وكملت قوته النفسانية ، وتهيأت لقبول الأسرار الإلهية، بعث إليهم ملكا، وأنزل عليهم كتابا»[2].

وبعد:

فما كان أغنانا نحن المسلمين عن مثل هذه الأفكار التي تورث البلبلة في الفكر، والاضطراب في العقل، والخلخلة في الدين، علما بأنها تحليلات نفسية، وتخيلات فكرية وعقلية، ليس لها سند ولا برهان، لا من القرآن ولا من السنة، ولم تقم على التجربة المعملية، أو على المشاهدات الميدانية، وكل ما يقال فيها من أفكار يونانية وردت إلينا من الخارج وشغفنا بها، فأخذناها على علاتها، دون نظر إلى تعارضها مع الدين، ونصوصه الصريحة من القرآن والسنة.

ويكفي دلالة على فساد هذه الآراء: أنها فتحت باب ادعاء النبوة، وذلك حين جعلوها مكتسبة عن طريق الرياضات الروحية، فما دعوى البهائية، والبابية، والقاديانية، وغيرها من ادعاءات النبوة على اختلاف العصور إلاَّ وَلَهَا في أفكار الفلاسفة سند تعتمد عليه، وتكأة تتكىء عليها، وكان الأجدر بهؤلاء الفلاسفة أن يسلكوا طريق السلف الصالح في هذا الموقف وغيره من المواقف الدينية الأخرى - فيتمسكوا بكتاب الله الذي يقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[3].

ثانيا: دعاة الحضارة الرافضون لتطبيق الشريعة الإسلامية:

هذا النوع من الناس يعيش بيننا في العصر الحاضر، ويدعي الإيمان والإسلام، لكن الإسلام عنده عبارة عن مسجد وصلاة، وصيام وزكاة، يعترف به

---

(١) الحج / ٧٥.

(٢) الشهرستاني، نهاية الإقدام ص٤٦٣، وأما سيدنا عيسى عليه السلام فلم تكن بعثته على رأس الأربعين، لذلك كان مستثنى من هذا الحكم الذي أطلقه الشهرستاني.

(٣) سورة الأنعام / ١٢٤.

دينا، كل ماله في حياة المسلم إنما هو العبادات فقط، دون تدخل من الدين في جوانب الحياة الدنيوية الأخرى: من اقتصاد، وسياسة، وفكر، وثقافة . . . الخ، فإذا ما دعا داع وصرخ مناديا بتطبيق الشريعة الإسلامية ـ بكافة أركانها وفروعها سواء أكانت: عقيدة، أو شريعة، أو اقتصادا، أو حربا، أو حكما، أو سياسة ـ على المجتمعات التي تؤمن بها، وقفت هذه الجماعة في وجه تلك الدعوة الصادقة الخالصة، محتجين بحجج واهية، لا يقصد بها إلا الهروب من واجبات الشريعة، والتخلص من فرائضها وأركانها، وبالتالي طمسها، حتى تصير أثرا من الآثار المندثرة. فمرة يحتجون بفرضية العقوبات في الإسلام، إذ يدعون: أن فيها قسوة وشدة لا تليق بمسيرة العصر الحاضر، الذي تقدمت فيه العلوم الاجتماعية والنفسية، التي تنظر إلى السارق أو القاتل على أنه مريض، يحتاج الى العلاج، حتى يكون إنسانا سويا، ومن هنا فلا يمكن ـ في رأي هذه الجماعة ـ أن نطبق تلك العقوبات الهمجية التي كانت تطبق في عصر الصحراء والفوضى والجفاء الروحي والنفسي، إذ كيف يعقل أن نقطع يد السارق في دينار، أو عشرة مثلا، علما بأن قطع اليد يتسبب في إيجاد جيش من المشوهين والعاطلين، ويهدر طاقات كثيرة من المجتمع، والقصاص يتسبب في يتم الأطفال، وترمل النساء، وضياع أسر.

والربا الذي تحرمونه، أصبح ضرورة اجتماعية في العصر الحاضر، فلا تخلو دولة حضارية من التعامل به، وما تحرمونه من الخمر والميسر، واختلاط الجنسين وتعليم الرقص ومزاولته، كل هذه ألوان حديثة من التطور الاجتماعي، ارتبطت به الحضارة ارتباطا وثيقا، فالمجتمعات الحديثة لا تستغني عن هذه الأمور، لأنها تطور طبيعي، والتطور الطبيعي لا يستطيع مجتمع من المجتمعات الوقوف أمام مسيرته، أو القيام بحركة مضادة تبغي إيقافه، أو إخلاء المجتمعات منه، لذلك فخير للمجتمعات الإسلامية أن تتخلى عن تمسكها بتطبيق الشريعة الإسلامية ـ هكذا يقولون ـ وأن تندمج مع المجتمعات الحديثة، فتأخذ بأساليبها، وتتمسك بحضارتها وتقدمها وازدهارها.

ومرة أخرى يحتجون بأن العصر في تقدم، والحضارة تنمو وتخطو، بل تقفز دائما إلى الأمام، والإسلام دين جامد ـ كما يدعون ـ جاء لبيئة جافة وجاهلة، فكان وقتها متفقا مع ظروف هذه البيئات، أما الآن والتكنولوجيا تسيطر على كل مناحي الحياة، وفي كل مكان، فإن تطبيق الشريعة يكون تقييدا للمتحرك، وقتلا للحياة، وهدما للحضارة، وما تأخر العالم الإسلامي الآن عنا ببعيد، فالجماعات

والمجتمعات التي ترتبط بالشريعة الإسلامية تعيش حياة كلها تأخر وخمول وكسل، وها نحن نراها تمد يدها الى الغير ـ مِمَّنْ تمسك بالحضارة وتخلص من سيطرة الأديان ـ تطلب منه الغذاء والكساء، والمال والسلاح، ولو تَخَلَّت هذه الجماعات عن الشريعة الإسلامية ومبادئها الجامدة المتأخرة، ثم تمسكت بأهداب الحضارة الحديثة لكان لها نصيب كبير من الازدهار والتقدم، والحياة الهانئة السعيدة.

ونحن أمام هذه الدعاوي التي أثرناها ليس لنا بد من التعقيب عليها، حتى لا نكون كمن فتح جرحا دون أي يضع عليه الضماد اللازم، وحتى لا نعطي الفرصة لهذه الدعاوى أن تنمو وتترعرع في عقول الغافلين والحاقدين.

فأما عن العقوبات في الإسلام ودعوى شدتها وقسوتها، فتلك دعوى أريد بها التشهير بالإسلام، وتشويه مبادئه السامية، وتشريعاته الراقية.

ذلك أن الإسلام حين فرض العقوبات الشرعية على السارق أو الزاني أو القاتل مثلا، كانت له نظره شاملة لجميع أركان القضية، فهو ينظر إلى الجريمة التي وقعت باعتبار أنها اعتداء موجه من الفرد إلى الجماعة، فالفرد الذي يرتكب جريمة من الجرائم لا يقف ضرر جريمته وأثرها المدمر عليه وحده، وإنما يتعداه إلى غيره من الناس، بل إلى كافة مرافق الحياة التي يستفيد منها كل المجتمع.

نعم، فهو حين يرتكب جريمته إنما يعتدى على كل فرد في المجتمع اذ يحرمهم جميعا من نعمة الأمن والاطمئنان التي هي من أهم الأسس التي تقوم عليها الجماعات، وبها تزدهر الحضارات وينتعش الاقتصاد.

والمجرم الذي يرتكب الجريمة إنما يعتدي على الدين: عقيدة، وشريعة، وأخلاقا، وفضيلة، وهو يعتدي على اقتصاد الأمة وتماسك بنائها ووحدة أبنائها.

وَلْنَتَصَوَّر مجرما قتل رب أسرة، فما نتيجة عمله هذا؟ لقد قتل إنسانا كانت له إسهاماته المهمة في اقتصاد بلده ـ أيا كانت هذه الإسهامات ـ وترملت زوجة، وتيتمت أطفال، أضف إلى هذا ما زرعه هذا المجرم في قلب: الزوحة، والأب، والأم، والابن، والابنة، من حسرة وألم، وما زرعه في قلب المجتمع من خوف ورعب، وما ترتب على جريمته من توقف عملية الحياة أو بطئها، هنا أو هناك، وقل مثل هذا في سارق أموال الناس، وفي منتهك أعراضهم، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

وأي الناس أولى بالاحترام والاهتمام؟ المجرم الذي رَوَّعَ الناس بجرائمه ومصائبه؟ أم المظلوم الذي يجتر الحسرة والألم، والهم والحزن؟ وأيهم أولى بالاحترام والاهتمام؟ المجرم الذي لا رحمة ولا شفقة في قلبه؟ أم تلك الأرملة الحزينة، وتلك الطفلة اليتيمة؟ وأيها أولى بالاحترام والاهتمام؟ ذلك المجرم الذي اعتدى على المجتمع؟ أم هذا المجتمع الذي حرم من الأمن والراحة، والفرح والبهجة، وخيم عليه الخوف والاضطراب؟

أما استناد دعاة الحضارة هؤلاء : إلى أن المجرم مريض نفسيا، لذلك كان في حاجة إلى العلاج قبل العقاب، فالصحيح في هذا أن الله سبحانه وتعالى حين خلق الإنسان أعطاه عقلا وإرادة لضبط انفعالاته وتصرفاته، فإذا كانت هناك ظروف ضاغطة على إنسانٍ ما تدفعه إلى ارتكاب الجريمة، فإن هذه العوامل الضابطة لانفعالاته وتصرفاته جعلها الله سلاحا في يد هذا الإنسان، يستعمله وقت أن يشاء، ليمنع نفسه من ارتكاب هذه الجريمة، فالإنسان في الإسلام ليس إنسانا سلبيا، وإنما هو إنسان له حرية وإرادة، واختيار وعقل سليم، يستطيع بكل هذا أن يمنع نفسه من الاندفاع نحو الجريمة، فإذا أغفل هذه الأسلحة الإلهية ولم يستفد منها، يكون هو المقصر في حق نفسه، وعليه أن يتحمل مسئولية هذا التقصير والإهمال. على أن الإسلام له نظرته العادلة تجاه المجرم، فلا يحاسب على الجريمة إلا إذا توافرت فيها جميع أركان التهمة : من إصرار، وعزم، وشهود، أو اعتراف، وعدم وجود سبب قهري لإيقاع هذه الجريمة، فلا قطع إلا من جوع، ولا رجم إلا بإحصان، ولا تقام حدود لشبهة من الشبهات، قال عليه السلام : «ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعاً»[2]، وقال عليه السلام : «ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطىء في العفو خير له من أن يخطىء في العقوبة»[3].

ولو سايرنا دعاة الحضارة في أن كل مجرم مريض، لكان هذا وسيلة لتفشي الجرائم في المجتمع، وحرمان هذا المجتمع من الحياة الآمنة المطمئنة، بل قد يستغل

---

(١) المائدة / ٣٢.

(٢) رواه ابن ماجه.

البعض هذا الجانب، وهو في حقيقة الأمر: مجرم، محترف، لم تفلح فيه محاولات متعددة لإصلاحه وتقويمه.

ومن أراد أن يحاسب الإسلام على هذه العقوبات فليأخذ الإسلام كنظام متكامل، ولينظر إليه من جميع الزوايا
فالإسلام قد أمر بالعدالة في كل الأمور، ودعا إلى توزيع الثروات، وإيجاد العمل الكريم لكل فرد في المجتمع، ونادى بتنظيف المجتمع من وسائل الإغراء، ودوافع الجنس، مثل: السينما العارية، والصحافة الخليعة، والأغاني المثيرة للرغبة الجنسية، فإن تم للإسلام ما أراد فلن تكون هناك جرائم إلا في القليل النادر، وحينئذ فصاحب هذه الجرائم مسؤول عنها، مستحق للعقاب، لأن الإسلام لم يقصر معه في شيء.

وأما أن الربا ضرورة اقتصادية اجتماعية لا تستغني عنها دولة حضارية، فهذه دعوى فاسدة، فالربا ليس بضرورة، إذ يمكن لأي مجتمع الاستغناء اقتصاديا عن البنوك الربوية بأي نظام اقتصادي غير ربوي، وحينئذ سيكون العائد الاقتصادي والإجتماعي أفضل بكثير من هذه البنوك الربوية . ، وقد «أقامت الشيوعية نظامها على غير الربا، فلم تعجزها هذه الضرورة الوهمية».[1]

فالربا وإن كان يُدَعِّم اقتصاديات المؤسسين لهذه البنوك والشركات الربوية، حيث تزيد عوائدهم المالية، إلا أنه في حقيقة الأمر امتصاص لعوائد العاملين وجهدهم وعرقهم، وتبديد لطاقاتهم، وناتج أعمالهم، وهذا بدوره يؤدي إلى طغيان الشحناء على الإخاء الذي تدعو إليه كل الأديان، وأن تحل الكراهية والبغضاء محل الود والمحبة، وهذا هو سبب الشقاء. وما تعانيه الإنسانية في عصرنا الحاضر من اضطرابات وقلاقل وأزمات.
«فالربا في أقل صوره ضررا: إنما هو اشتراك رجل لا يعمل في ثمرات عمل غيره، بلا سبب، إلا أنه أقرضه مالا، بحجة أنه أعان هذا الغير بما أقرضه على إدراك هذه الثمرات، ولو أن هذه الصورة كانت وحدها صورة الربا لما كانت مع ذلك مُسَوِّغة له، فلو أن الذي يُقْرِضَ المال كان قديرا على أن يثمره بنفسه ما أقرضه غيره، ولو أنه أبقاه عنده لبقي معطلا، لايؤتي ثمره، ولأكله صاحبه شيئا فشيئا، فإذا أراد الاستعانة بغيره في تثمير ماله مقابل الحصول على حظ من ثمرته، لم تكن وسيلة ذلك

أن تفرض لرأس المال فائدة معنية، وإنما تكون وسيلته أن يشارك صاحب المال من يثمر هذا المال مقابل حصته من الثمرة، فإن ربح المثمر كان لرب المال من ذلك الربح نصيبه، وإن خسر كان عليه من الخسارة نصيبه، فأما أن تفرض لرأس المال فائدة ولو لم يفد من ثَمَّره شيئا فذلك هو الاستغلال غير المشروع». [1]

أضف إلى هذا: أن الواقع يؤكد ما للربا من أضرار على الأفراد والجماعات والأمم، فكثيرا ما تستدين دولة من دولة أخرى بالربا، ويوما بعد يوم تكثر الفوائد، وتزيد إلى الحد الذي لا تستطيع معه الوفاء بعوائد الديون، فضلا عن الديون ذاتها، وحينئذ تقع هذه الدولة تحت سيطرة الدولة صاحبة الدين، ومن يدرس التاريخ القديم والحديث، ويطلع على الدراسات الصحفية في هذا المجال، سيدرك صحة هذا الكلام.

وكم من جرائم قتل وسرقة وحرق للأخضر واليابس ارتكبت بسبب تراكم الديون الربوية على بعض الأفراد، وبسبب هذه الأضرار وغيرها حَذَّر العلماء المختصون من التعامل بالربا، «فكبار الاقتصاديين في الغرب الرأسمالي من أمثال الدكتور شاخت ينددون بنظام الربا، ويقولون: إن نتيجته الحتمية على مر الأجيال هي تركيز الثروة في أيدي فئة قليلة من الناس، وحرمان المجموع منها رويدا رويدا، ووقوع الملايين ـ تبعا لذلك ـ في العبودية لهذه الفئة الصغيرة المالكة للثروة.» [2]

والإسلام لا يمانع في استعمال النظم الاقتصادية العالمية، بشرط أن تكون خالية من الربويات، متفقة مع مبادىء الإسلام ومناهجه في هذا الجانب.

وقد شرع لنا الإسلام من النظم الاقتصادية ما يغنينا عن مثل هذه النظم الربوية، فالقرض الحسن وإن لم يكن فيه عائد مالي على صاحب المال، إلا أن فيه عائدا عظيما له أهميته، ألا وهو العلاقات الاجتماعية التي تقوى وتتعمق، وتتأكد عن طريق مثل هذا القرض، فضلا عن أن المستدين سيستفيد من هذا القرض في عمله بما يرفع من مستواه الاقتصادي والاجتماعي، وكذلك صاحب المال سيستفيد من هذا القرض عن طريق حسن علاقاته الاجتماعية بالناس وثقتهم فيه، وحينئذ تزدهر تجارته وتنمو أعماله، ويسارع الكل إلى التعامل معه.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) الأستاذ / محمد قطب، شبهات حول الإسلام (ط ٦) ص ١٧٣.

أيضا شرع لنا الإسلام من النظم الاقتصادية الخالية من الربويات ما يسمى بشركة المضاربة، التي تقوم على أن المال من جانب، والعمل من جانب آخر، مع الاتفاق على نسبة معينة من الربح لكل من العامل وصاحب المال[1]، وهذا أفضل بكثير من البنوك الربوية، ففي شركات المضاربة توظيف للمال بأحسن الطرق، حيث يحصل صاحب المال على الربح العادل، فيداوم على استثمار ماله، ولا يكنزه، وفي هذا تخليص له من عنصر السلبية الذي قد يلجأ إليه البعض تجاه البنوك الربوية، إما لقلة عوائدها في نظر البعض، أو لحرمة هذه الفوائد في نظر البعض الآخر، أيضا في شركات المضاربة إنقاذ لرأس مال المسلم من إيداعه في المصارف الأجنبية، كما يفعله البعض من مرضى النفوس، وضعاف الإيمان، طلبا للربح والفائدة.

وأما عن الحضارة والتقدم، فليست الحضارة: بالرقص، والغناء، ومعاقرة الخمور والمسكرات، وإنما الحضارة والتقدم : بالعلم، والتكنولوجيا، والبحث، والدراسة، والثقافة، والمعرفة، والأخلاق، والفضائل، والسمو، والمروءة.

وقديما كانت الحضارة الإسلامية موئلا لجميع الأمم، تنهل من مواردها العذبة، وتنقل حضارة الإسلام هذه إلى بلادها، عِلْمًا بأنَّ هذه الحضارة لم تكن قائمة على إباحة المسكرات، والرقص مع الغانيات، ومخادنة النساء، وإنما كانت حضارة قائمة على تحرير الإنسان من عبودية : الشهوة، واللذة، والجاه، والمال، والسلطان. وقد أثمرت هذه الحضارة كما هائلا من مظاهر التقدم والازدهار، تمثل هذا في التقدم العمراني، والإداري، والزراعي، والصناعي، والعسكري، والازدهار العلمي : في الطب، والصيدلة، والفلك، والجغرافيا، والعلوم الرياضية. وقد شهد بهذا القاضي والداني، والعدو والصديق.

هذه الحضارة العظيمة التي اشتهر بها الإسلام والمسلمون، لم يكن أساسها الرقص والاختلاط وشرب المسكرات، ولكن كان أساسها ما جاءت به النبوة، من دعوة إلى العلم والتقدم والازدهار، والأخذ بأسباب الحياة الصالحة.

والحضارة الغربية التي يتغنى بها الرافضون لتطبيق الشريعة الإسلامية، لم تكن عن طريق اللهو واللعب، فلم نقرأ في الكتب شرقيها وغربيها: أن هذه الحضارة الغربية التي نعيشها اليوم قامت على اختلاط الرجال بالنساء، والنساء

---

(١) الأستاذ / محمد حسين هيكل، حياة محمد (ط ١٤، دار المعارف بمصر) ص ٥٣٩.

بالرجال، وحرية الجنس، والرقص والمخادنة، وإنما قامت: على العلم، والبحث، والدراسة، والعمل الدؤوب، والسهر ليلا ونهارا، من أجل أن يعيش الناس ما نراه الآن من تقدم وازدهار عالمي.

ونحن المسلمين في أمس الحاجة إلى العلم والتكنولوجيا، والعمل الدائب حتى نلحق بركب الحضارة والتقدم، أما الخمر والمسكرات، والرقص ومخاصرة النساء، كل هذه معول هدم، وتبديد لطاقات الفرد المسلم وقدراته، سواء منها الجسمية أو العقلية، وبالتالي فإنها عوامل تدمير للأمة الإسلامية، وقضاء على قوتها: العسكرية، والعلمية، والاقتصادية، والاجتماعية.

هذه هي أفكار تلك الجماعات المتخاذلة المتباعدة عن الإسلام وأحكامه، وقد رددنا عليها باختصار، لأن هذا البحث ليس مجالا لتحليل هذه الافتراءات، وبيان فسادها بالتوسع المطلوب في مثل هذا الموقف ـ وقد قام بهذا كثير غيري ـ وإنما فقط لبيان الارتباط الأكيد بين آراء هذه الجماعات وآراء من سبقوهم من منكري النبوات، فقد سبق أن عرفنا: أن من أسباب إنكار ابن الراوندي والرازي ومن تبعهم للنبوات : ادعاؤهم أن الأنبياء قد جاءوا بتشريعات متضاربة متناقضة، تتنافى مع الفكر العقلي، والمبادىء المنطقية التي يتفق عليها جميع العقلاء.

أيضا جماعات هذا العصر تدعي نفس الادعاء، فهم يرفضون تطبيق الشريعة الإسلامية بدعوى أنها لا تتفق وظروف العصر الحاضر. ومتطلبات الحياة الحديثة.

واستنكار هذه الجماعات تطبيق الشريعة، ووقوفهم سدا منيعا أمام تطبيقها، يلزم عليه إنكارهم للنبوات، وذلك لعدة أمور:

أولا: أن الأسباب التي يحتجون بها هي نفس الأسباب التي ادعاها منكرو النبوات، ممن ينتسبون إلى الاسلام: كابن الراوندي وأتباعه، والرازي وأشياعه، فهم مشتركون معهم في السبب، وهو الاحتكام إلى العقل، ورفض النص الديني، بل رفض الدين كمنهج تطبيقي.

فإذا كان السابقون قد أنكروا النبوات بحجة أن الأنبياء قد جاءوا بتشريعات تتعارض مع العقل والمنطق والحياة، فأتباعهم من أهل عصرنا يرون عدم تطبيق الشريعة، لأن مبادئها ـ كما يدعون ـ لا تتفق مع واقع

الحياة، والحضارة التي تعيشها المجتمعات المتقدمة، لذلك وجب ـ في رأيهم ـ التخلي عن تطبيق الشريعة حتى تتقدم المجتمعات الإسلامية وتزدهر.

وهذا يعني شيئا واحد: أن الأنبياء قد جاءوا بتشريعات تناقض العقل والمنطق، ومناهج تتعارض مع سير الحياة، وحياة المجتمعات، ومن يعتقد هذا يكون منكرا لفضل النبوة ومنهجها المستقيم الذي به صحت الحياة، وحييت به النفوس والمجتمعات، وإلا فماذا يكون إنكار النبوات إن لم يكن مُنْكِرُ فَضْلِهَا وَعَظَمَتِهِا وخَيْرِهَا مُنْكِرًا لها»؟

ثانيا: أن من آمن إيمانا صادقا بمحمد ـ ﷺ ـ كان محبا له، ومن كان محبا للرسول، لزم عليه اتباع شريعته، وتطبيقها، ومناصرتها، والدفاع عنها، وهؤلاء الصادون عن شريعة الله، الكارهون لتطبيقها ليسوا بمحبين لرسول الله ـ ﷺ ـ والإ لكانوا قد ناصروا تطبيق الشريعة، ومن كان غير محب للرسول، كان منكرا لنبوته عليه السلام، حتى ولو لم يعلن هذا، وذلك لأن الله تعالى يقول:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[1]،

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه[2] كاذب في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي، في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عملٍ عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»... ثم قال تعالى آمرا لكل أحد مِنْ خَاصٍ وعام **﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا﴾** أي تخالفوا عن أمره **﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾** فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله، ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي»[3].

---

(١) سورة آل عمران: ٣١ / ٣٢.

(٢) لعلها: بأنه.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٣٥٨.

ثالثا: هؤلاء الرافضون لتطبيق الشريعة الإسلامية، ماالتزموا بهذا الرفض ولا قالوا به إلا حبا في الحياة، بما فيها : من مال ونساء، ومساكن، وتجارة. ومن فضل هذه الأمور على رسول الله ودعوته كان من الفاسقين، بل من المنكرين له ولنبوته. أضف إلى هذا: أن عدم تطبيق الشريعة، أو الوقوف أمام تطبيقها، فيه مناصرة وموالاة لأعداء الإسلام، لأن هذا هو أعظم ما يتمنونه، ويغدقون عليه الأموال الطائلة، ونحن المسلمين قد نهينا عن موالاة هؤلاء الأعداء ومناصرتهم، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ . كما قال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

رابعا: التاريخ الإسلامي شاهد بأن من لم يلتزم بالشريعة الإسلامية من المسلمين، بحيث كان منكرا لها، أو مستهزئا بأحكامها، أو جاحدا لفضلها، أو مفضلا غيرها عليها، كان مثله في هذا كمثل من أنكر وجود الله تعالى، أو وجود النبوة والأنبياء، ذلك أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حارب مانعي الزكاة، فحين جاءت وفود المرتدين تعرض عليه ـ رضي الله عنه ـ التزامهم بالصلاة على أن يرفع عنهم فرضية الزكاة، لم يقبل أبو بكر هذا التنازل في الدين، وأكد لهذا الوفد ولكل مسلم : أن مقاتلتهم باعتبارهم أعداء الإسلام أصبحت واجبة، فمن فرق بين الزكاة وبين «لا إله إلا الله» وجبت مقاتلته، حتى يعود إلى رشده ومن فرق بين الصلاة والزكاة وجبت محاربته حتى يستقيم على منهج الله وسنة رسوله ﷺ.

وجهز أبو بكر الصديق جيشا لمقاتلة هؤلاء المانعين للزكاة، وذلك لردعهم، وردهم إلى حظيرة الإسلام، والتمسك بالشريعة الإسلامية،

---

(١) سورة التوبة: ٢٣ / ٢٤.

وتطبيق أحكامها على أنفسهم، وفي جميع أمور حياتهم، لكن الأمر اشتبه على عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذ كيف يحارب جيش المسلمين من قال: لا إله الا الله؟ وما هي إلا هنيهة حتى شرح الله صدر عمر لما عزم عليه أبو بكر الصديق.

روي عن أبي هريرة: أنه قال: «لما توفي النبي ﷺ، واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله «قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»(١)، وفي تاريخ الأمم والملوك أن أبا بكر قال: «والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه». (٢)

وقياسا على ما قام به أبو بكر، وموافقة الصحابة على صنيعه هذا، فإن من فرق بين الإيمان بالنبوة والأنبياء، وبين تطبيق الشريعة الإسلامية والعمل بأحكامها، وجبت مقاتلته، لأنه انحرف عن واجبات النبوة.

خامسا: من يعارض تطبيق الشريعة الإسلامية بأي وجه من الوجوه، أو بأي حيلة من الحيل يكون صادا عن سبيل الله، كهؤلاء الذين كانوا يمنعون المسلمين من الصلاة، وقراءة القرآن، وأداء شعائر الإسلام.

وهؤلاء الرافضون لتطبيق الشريعة الإسلامية، وإن كانوا لا يَدْعُون إلى ترك الصلاة أو عدم قراءة القرآن، إلا أنهم يحطمون السياج الذي وضعه المولى عز وجل لحماية الإسلام، والمجتمع الإسلامي، والحياة الإسلامية، ألا وهو الحدود الشرعية، والأخلاق والآداب الإسلامية.

فما فرضت الحدود إلا لحماية المجتمع الإسلامي من تفشي المفاسد

---

(١) البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري) صحيح البخاري بشرح فتح الباري، المطبعة السلفية بالقاهرة جـ١٢ ص ٢٧٥، حديث رقم ٦٩٢٤، ورقم ٦٩٢٥، وأيضا صحيح مسلم (كتاب الشعب ـ القاهرة) جـ١ص ١٧٠.

(٢) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) تاريخ الأمم والملوك (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٩ م) جـ٢ ص ٤٧٦.

والمنكرات، وما جعلت الأخلاق والآداب الإسلامية إلا لتطهير المجتمعات الإسلامية من الرذائل والأمراض التي تفتك بقوى المجتمعات وتماسكها.

لذلك فمن بدل منهج الأنبياء الذي جاءوا به، فقلب الخير شرا، والشر خيرا - كما يفعل الرافضون لتطبيق الشريعة الإسلامية - فهؤلاء هم الصادون عن سبيل الله، الواقفون أمام دعوة الرسل والأنبياء، وهؤلاء لا فرق بينهم وبين منكري النبوات، بل قل: إنهم ومنكري النبوات يتبعون غير سبيل المؤمنين الذين يحبهم الله ويحبونه، قال تعالى:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1]، يقول ابن كثير تفسيرا لهذه الآية:

«ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له، واتضح له **﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾**... **﴿نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾** أي إذا سلك هذا الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجا له... وجعل (أي الله) النار مصيره في الآخرة، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة»[2].

وبعد:

فخيرا لهؤلاء المعارضين لتطبيق الشريعة الإسلامية، وخيرا للناس أجمعين، وخيرا للمجتمعات الإسلامية كلها، أن نلتزم بمنهج الله تعالى، وبشريعته التي جاءت بها الرسل والأنبياء وأن نشكر الله ونحمده أن جاءنا برسله وأنبيائه، لإخراجنا من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والجهالة، إلى نور الإيمان وضياء الإسلام.

ومن رغب عن منهج الأنبياء والرسل، ورغب في منهج الشيطان، فهؤلاء هم حزب الشيطان، الخاسرون في الدنيا والآخرة، لأنهم قد: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ

---

(١) سورة النساء / ١١٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ١ص ٥٥٤.

﴿ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾. [1]

نعم كتب الله ليغلبن كل من حارب منهجه، وصد عن شريعة رسله وأنبيائه، وحيث إن الرافضين لتطبيق الشريعة الإسلامية يحاربون الله ورسله وأنبياءه، فإنهم سيمنون بالهزيمة، وستكون الغلبة ـ إن عاجلا وإن آجلا ـ للشريعة الإسلامية، لأنها المنهج الإلهي الذي ارتضاه الله لعباده حيث قال في كتابه الحكيم:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْأٓخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾. [2]

---

(١) سورة المجادلة: ١٩ ـ ٢١.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥ ـ ٨٧.

المبحث الرابع: الحاجة إلى الرسل والأنبياء: -

الناس في حاجة إلى دين صحيح يهديهم سواء السبيل، وكل دين صحيح يأتي عن طريق الرسل والأنبياء، إذن الناس في حاجة إلى الرسل والأنبياء.

هذا قياس من الشكل الأول[1]، مقدمته الصغرى: الناس في حاجة إلى دين صحيح يهديهم سواء السبيل، ومقدمته الكبرى هي: الدين الصحيح يأتي عن طريق الرسل والأنبياء.

وكل من المقدمتين يؤمن بهما أصحاب العقول النيرة، والأنفس المستقيمة، والقلوب الخالية من الأحقاد والكراهية، أما الذين تلوثت عقولهم بالباطل، وانحرفت نفوسهم فاشرأبت نحو الضلال، وران على قلوبهم الظلام والسواد، فهؤلاء ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة، لذلك كانوا في حاجة إلى ما يزيل هذا الرين، وتلك الغشاوة، ويأخذ بيدهم إلى الطريق المستقيم، والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

فأما المقدمة الأولى، وهي حاجة الناس إلى الدين الصحيح، فهذا أمر نحسه وندركه، ذلك أن كل فرد، وكل مجتمع ينشأ صغيرا، لا يعرف الحق من الباطل، ولا الخير من الشر، فكان في حاجة إلى معلم يعلمه حقائق الأشياء، وإلى مرشد يرشده نحو الطريق الصحيح، فالله تعالى «لما خلق نوع البشر عاطلا من المعارف خاليا منها - كما قال رب العالمين في كتابه الكريم ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾[2] - وكان حكيما، وامتنع وصولهم إليه، كما امتنع تشخصه لهم ليتولى هدايتهم بنفسه، وجب[3] عليه تعليمهم مضارهم ومنافعهم، في عاجلهم وآجلهم باصطفاء من يجعله إماما لهم، ويؤيده ليعلمهم ما يحتاجون إليه، وإذا كان واجبا[3] عليه في الحكمة تعليمهم وحفظهم لم يجز إلا أن يعلمهم باصطفاء من يقوم مقامه فيهم، وهو الذي توجبه[3] الحكمة[4]».

---

(١) د - زكي نجيب محمود. المنطق الوضعي (القاهرة / ١٩٥١) ص ٢٤٧، وأيضا: عبدالرحمن بدوي، المنطق الصوري والرياضي (ط ٢) ص ١٨٩.

(٢) النحل / ٧٨.

(٣) يلاحظ استعمال لفظ الوجوب كما هو الحال عند المعتزلة والفلاسفة وقد أبطلنا هذا سابقا.

(٤) الكرماني (أحمد بن عبدالله الكرماني) كتاب: الأقوال الذهبية (ضمن مجموعة رسائل فلسفية) ص ٣١٥.

فلما كان كل مخلوق معطلا من المعارف وبذلك لا يستطيع أن يفرق بين الخير والشر، كان في حاجة إلى هاد يهديه إلى هذه المعارف، والعقل لا يكفي وحده كي يكون هاديا ومرشدا للإنسان، وموجها له نحو الخير والحق، لأننا وجدنا بعض الناس ـ الذين ليسوا مرضى عقليا ـ قد وجهتهم عقولهم نحو الشر، وعبادة الحجر الذي لا يضر ولا ينفع، أو عبادة حيوان لا يستطيع أن يذب عن نفسه لسع الحشرات وإيذاء الصبيان، أو عبادة إنسان يحتاج إلى إنسان مثله يطعمه ويسقيه، ويدافع عنه ضد المعتدين عليه من بني الإنسان.

كذلك المذاهب والديانات التي وضعها البشر، هي الأخرى لا تصح أن تكون موجها للإنسان نحو الطريق الصحيح، لأن الانسان مهما ارتقى في تفكيره، ومهما كانت درجته في العلم، لا تستطيع قدراته ومعارفه وعقله وحدسه، الوصول إلى معرفة احتياجات البشر النفسية والجسمية، المادية والمعنوية، لذلك فإننا نلاحظ على هذه الديانات البشرية: أن تشريعاتها وقوانينها، إن صحت في هذا الزمن فلا تصح في الزمن الآخر، وإن لقيت قبولا عند هذه الجماعة من الناس فستلقى رفضا من مجموعة أخرى من البشر، وإن جاز استقرارها في هذا المكان فقد لا يكون لها قرار في مكان آخر من هذه المعمورة، بالإضافة إلى هذا فإن كثيرا من التشريعات البشرية لا تتفق مع العقل البشري، ولا تنسجم مع الطبيعة البشرية، فقد جربت جماعات من البشر التدين بأديان صنعها وصاغها بشر مثلهم: كمزدك، وماني، وكونفشيوس، لكن ما برئت هذه الديانات المصطنعة من الأخطاء والمفاسد، لذلك لم تلق قبولا عند جميع الناس، ولا في جميع الأزمان والأماكن، كما هو الحال في الأديان السماوية.

إذن لابد من أن يكون هذا المعلم وهذا المرشد، وهذا الموجه، دينا يصلح للتطبيق على جميع الناس، أو على المجموعة التي اختص بها من البشر، وأن يكون صالحا للتطبيق في كل الأزمنة والأمكنة، أو الزمان والمكان المخصص له، وأن لا يكون متعارضا مع العقل وطبيعة الإنسان البشرية، ومتطلبات الحياة الإنسانية.

وهذا النوع من الدين لا يأتي إلا عن طريق الأنبياء والرسل ـ وهذه هي المقدمة الثانية ـ الذين اختارهم الله تعالى لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهذا لأنه تعالى «منعم على عباده بما يرشدهم إليه من المصالح، ولما كان في بعثة الرسل ما لا تدركه العقول كان إرسالهم من عموم المصالح التي تكفل بها...

وإن فيما تأتي به الرسل من الجزاء بالجنة ثوابا على الرغبة في فعل الخير، وبالنار عقابا يبعث على الرهبة في الكف عن الشر صار سببا لائتلاف الخلق وتعاطي الحق . . . (و) إن في غيوب المصالح ما لا يعلم إلا من جهة الرسل، فاستفيد منهم مالم يستفد بالعقل . . . (و) إن التأله لا يخلص إلا بالدين، والدين لا يصلح إلا بالرسل المبلغين عن الله تعالى ما كلف به . . . (و) إن العقول ربما استكبرت من موافقة الأكفاء ومتابعة النظراء فلم يجمعهم عليه إلا طاعة المعبود فيما أداه رسله، فصارت المصالح بهم أعم، والإتقان بهم أتم، والشمل بهم أجمع، والتنازع بهم أمنع»[1].

والحق: أن الناس في حاجة إلى الرسل والأنبياء الذين اختارهم الله واصطفاهم من البشر، وذلك لمهام دينية ودنيوية كثيرة ومتعددة، تعود بالخير على الإنسان في دنياه وأخراه.

فبالرسل والأنبياء تصح عقيدة الناس، وتستقيم عبادتهم، لأن الرسل والأنبياء هم الذين يعرفون الناس بوحدانية الله تعالى: ربوبية وألوهية وأسماء وصفات. وهم الذين يبينون لهم الخطأ في عبادة بعضهم للحجر والشجر، أو الإنسان والحيوان، وبذلك يتجهون نحو العبادة الصحيحة، وبالتالي يحققون لأنفسهم العقيدة الصافية الطاهرة التي تنفعهم في الدنيا، وتفيدهم في الآخرة.

وفي عصرنا الحاضر ما زالت البشرية ـ وستظل ـ في حاجة إلى الرسل والأنبياء لأن «نصف سكان العالم ما يزالون وثنيين يعبدون الأصنام في الهند والصين، والقبائل المتفرقة في أنحاء الارض، وما يقرب من نصفهم يعبدون خرافة أخرى لا تقل انحرافا بالناس عن الحق، ولا إفسادا لضمائرهم ومشاعرهم وعلاقات بعضهم ببعض، بل ربما كانت أكثر انحرافا وأشد خطرا، تلك الخرافة هي العلم»[2]. من هنا كانت البشرية وما زالت في حاجة إلى التعاليم الدينية الفاضلة التي جاءت بها النبوة دعوة إلى نبذ هذه الوثنيات المخرفة، ومن ثم الاتجاه إلى عبادة من خلق السموات والأرض، ومن بيده الموت والحياة، والرزق والعطاء.

ولما كان كثير من الناس منكرين للبعث بعد الموت، ويرون: أنه لا حياة بعد

---

(١) الماوردي. أعلام النبوة ص ٢٣ / ٢٤.

(٢) الأستاذ / محمد قطب، شبهات حول الإسلام ص ١٩.

هذه الدنيا، وهذا يؤدي إلى ظهور الفسق والمعاصي في المجتمعات بصورة لا إيمان معها ولا حياء، ولا خوف من الله تعالى، لَمَّا كان الأمر هكذا، كانت الإنسانية في حاجة إلى الرسل والأنبياء، لتأكيد عقيدة البعث للناس، وترسيخها في نفوسهم وقلوبهم، حتى يستعدوا لهذا اليوم المشهود بالإيمان الصادق والعمل الصالح، لأنه إذ لم يكن هذا، كان الإنسان في خسران مبين، كما قال عز وجل: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾[1].

وبالرسل والأنبياء يهتدي الإنسان إلى ما ينجيه في الآخرة من العذاب، ويصل به إلى الجنة، سواء كان هذا أركانا عقائدية، أو فرائض تشريعية، أو أخلاقا فاضلة، أو آدابا صالحة، أو معاملات دينية، وذلك حتى يأخذ الحلال ويترك الحرام، ويتمسك بما ينفعه، ويعرض عما يضره، وهذا كله لا تعرف حقيقته، وحلاله من حرامه، وخيره من شره، إلا عن طريق الرسل والأنبياء الذين هم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه وعبيده.

وبالرسل والأنبياء يستطيع الإنسان معرفة كثير من القضايا الدينية التي يصعب على العقل معرفتها وإدراكها، وهذا كقضية كلامه تعالى ورؤيته، والبعث الجسماني، فمثل هذه القضايا قد أقحم الإنسان عقله فيها إقحاما، لكنه لم يستطع الوصول إلى حكم صحيح فيها، والذين استفادوا هذه المعرفة عن طريق الدين السماوي الذي جاءت به الرسل والأنبياء هم الذين وصلوا إلى الحقيقة الصحيحة، فلم يضلوا، ولم يقعوا في المتاهات الافتراضية والخيالية التي لجأ إليها البعض من المسلمين، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا أتباعهم من بعدهم.

والنبوة وسيلة من وسائل المعرفة مهمة للبشرية، كانت كذلك في الماضي، وستظل دائما وأبدا وسيلة معرفة صادقة لا تخطىء أبدا، بخلاف وسائل المعرفة الأخرى التي تعارف عليها الناس، وقال بها العلماء المختصون.

فلولا النبوة ما كنا قد عرفنا شيئا عن أصل هذا الكون وخلقه، ومبدأ الحياة ومنشئها، فعن طريق النبوة هذه عرفنا أن السموات سبع، والأرضين أيضا سبع،

---

(١) سورة العصر.

وأن في السموات شمسا وقمرا ونجوما، ولكل منها مهمة تؤديها، وفائدة تعود على الإنسان بطريق مباشر أو غير مباشر، فهي نور وهداية، وعامل اقتصادي مهم في حياة البشر.

وعن طريق النبوة عرفنا: أن الله جعل في الأرض جبالا تمسكها، وبحارا وأنهارا ترويها، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) ﴾[1]، لقد عرف الناس هذا قديما قبل مجيء العلم الحديث بنظرياته، فضلا عن أن هذه المعارف التي تأتينا عن طريق النبوة لا تخطىء لأن مصدرها هو العليم القدير، أما نظريات العلم الحديث فقد تصيب وقد تخطىء، وقد نراها اليوم على صواب فيأتي عالم آخر فيثبت خطأها، يقول سومرست موم «إن أوروبا قد نبذت اليوم إلهها ، وآمنت بإله جديد هو العلم، ولكن العلم كائن متقلب، فهو يثبت اليوم ما نفاه بالأمس،وهو ينفي غدا ما يثبته اليوم، لذلك تجد عباده في قلق دائم لا يستقرون».[2]

وبالنبوة عرفنا أصل الحياة الإنسانية، وكيف بدأت، وكيف ستنتهي، فآدم هو أصل الإنسانية كلها، منه بدأت وتكاثرت، وتكونت شعوب وأمم، هذه الشعوب والأمم مختلفة الألوان والألسنة، تعمر الكون، وتقاتل وتتحارب، وفي النهاية تعود إلى خالقها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

(١) سورة الأنبياء: ٣٠ ـ ٣.
(٢) نقلا من كتاب: شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب ص ١٢.

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾[1]

ويقول عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ﴾[2].

وعن طريق النبوة عرفنا طبائع الأمم والشعوب والأفراد، فلقد كان الناس أول أمرهم أمة واحدة، وكانوا قائمين على الحق، لكن الحياة ومطالبها تنازعتهم فاختلفوا، فأرسل الله الرسل والأنبياء هداية ورحمة بالناس، وأنزل معهم قواعد الحكم الحق فيما اختلفوا فيه، قال عز وجل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]، وهذه الأمم والشعوب لم يتركها الله هملا، وإنما أرسل لها الرسل والأنبياء فمنهم من اهتدى، ومنهم من ضل، قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[4]

وأخبار آدم، وأخبار نوح وأمته، وموسى مع قومه، وعيسى مع بني اسرائيل، . . الخ، هذه الأخبار الماضية التي وقعت في عصور لم تكن فيها مطابع، ولا كتب تاريخ لتعرفنا أخبار هؤلاء الناس، وتلك الأمم بالصورة التي عرفناها عنهم عن طريق النبوة، فلولا النبوة لما عرفنا أخبار تلك الأمم معرفة صحيحة وصادقة.

---

(١) سورة المؤمنين: ١٢ - ١٦.
(٢) سورة فاطر: ٢٧ / ٢٨.
(٣) سورة البقرة: ٢١٣.
(٤) سورة النحل: ٣٦.

من طبيعة الإنسان الفطرية أن يسأل عما يدور حوله من أمور، فهو ميال بفطرته لاكتشاف كل مجهول يحيط به، لذلك فإن الطفل عندما يبدأ عقله في التفكير نراه يسأل عمن أوجده في هذه الحياة، وكيف جاء إليها؟ وكيف سيخرج منها؟ ومن الذي يعطيه طعامه وشرابه؟ فإذا ما كبر الطفل وارتقى في تفكيره فإنه يبدأ في السؤال عن مدبر هذه الحياة وهذا الكون بما فيه من عوالم متعددة ومختلفة، وما الهدف من هذه الحياة؟ وما معنى الحياة؟ وما معنى الموت؟ ولماذا الموت بعد الحياة؟ وماذا بعد الموت؟

هذه أسئلة كثيرة حارت فيها العقول، واختلف حولها العلماء والفلاسفة، ولا مخرج من هذه الحيرة إلا بالانقياد لأوامر النبوة وأخبارها وتعاليمها.
فالنبوة هي الطريق الصحيح لإشباع فطرة الإنسان، وهي الوسيلة التي لا تخطىء للإجابة على ما يتردد في عقل البشرية من أسئلة واستفسارات غيبية، وهي العلاج الناجح لحيرة الإنسان في هذه الحياة.

لكل هذا كانت البشرية في حاجة إلى النبوة، وستظل هذه النبوة هي الموئل والمرجع الحق لكل إنسان في كل عصر، لأنه لا يخلو عصر من طفل يولد ترد على عقله مثل هذه الأسئلة، ومن إنسان حائر تتردد على فكره تلك الاستفسارات المحيرة، ومهما تقدم العلم فلن يكون الشفاء إلا فيما جاءت به النبوة من أخبار صادقة، ومن أحكام دقيقة، ومن إجابات شافية لكل حيرة.

وفي عالمنا اليوم كثير من القلاقل والاضطرابات، الاجتماعية والنفسية والدولية، نتيجة للصراع الدائم على الأرض من أجل المال والحياة والسيطرة على كل شيء في هذا الوجود، إنه صراع دائم بين مذهب ومذهب، وجماعة وجماعة، ودولة ودولة، وفرد وفرد، وتكثر المشاكل وتتعقد الحياة، وهنا تأتي المهمة الجليلة للنبوة، فهي التي تمنح الإنسان الأمن والأمان، والراحة النفسية والطمأنينة في يومه وغده، وذلك بما اشتملت عليه من توجه إلى الله تعالى في الملمات والمصائب، ومقاومة الشر والطغيان من أجل مرضاة خالق الإنسان ورازقه، والاهتمام بالعمل الدنيوي من أجل حياة البشرية وإعمار الأرض اهتمامه بالحياة الأخروية.

إن النبوة هي مصدر الحب والتعاون والإخاء والود والمحبة، ولو فُرِّغَ مجتمع من المجتمعات من هذه الأسس الأخلاقية الدينية لعاش هذا المجتمع في صراع دائم

وانتابته القلاقل والأمراض النفسية والاجتماعية التي لن يفلح في علاجها إلا التمسك بالمبادىء والأسس التي جاءت بها النبوة لأنها جاءت من إله عالم بكل شيء في هذا الوجود، ويعلم ما يصلح حياة الإنسان وما يسعده فيها.

وقد خلق الله الإنسان وركب فيه أنواعا متعددة من الشهوات، فلو كانت هي المحرك الوحيد للإنسان لكان هذا الإنسان كالحيوان الأعجم في تصرفاته وأفعاله وسلوكه مع الآخرين، والذي يقي الإنسان من هذا التردي وهذه الدرجة البهيمية الهابطة : إنما هي الأديان، لأنها هي التي تعلي من غرائز الإنسان، وتترفع به عن هذه الدنايا، وتسمو به خلقا وفعلا، والأديان الصحيحة تكون من المولى عز وجل بواسطة رسله وأنبيائه.

ولو لم يرسل الله رسلا وأنبياء يرشدون الناس إلى الحق والخير، ويبعدون بهم عن الباطل والشر، لكانت هناك حجة لهؤلاء الناس في يوم القيامة حين يحاسبهم المولى عز وجل على أعمالهم، فحتى لا تكون لهم حجة أمام الله تعالى، أرسل الله سبحانه رسله وأنبياءه، لقطع الحجة على الكافرين والمقصرين، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾. (١)

ولما كان الإنسان لا يستطيع تحصيل سبل العيش وحده في هذه الدنيا، ولا يمكنه القيام بعمل من الأعمال بدون مساعد أو معين، لزم أن يكون معه من الناس من يساعده في صناعة طعامه وغذائه وكسائه ومسكنه. . الخ، وهذا يحتاج إلى قوانين تنظم العلاقة بين الناس مع بعضهم البعض، هذه القوانين لا بد أن تكون محققة للعدالة بين الجميع، ولها سلطة التنفيذ في نفوس الجميع، والقوانين التي بهذه الصورة تأتي بها الأديان التي نعرفها عن طريق الرسل والأنبياء.

وبعد:

فبهذا العرض المبسط يتبين لكل إنسان: أنه لا غناء للبشر عن الأديان السماوية الصحيحة، وبالتالي فالبشرية في حاجة إلى الرسل والأنبياء، لأنهم الذين يأتوننا بهذه الأديان، وينفعون البشرية، بما جاؤوا به من هداية وتشريع.

---

(١) سورة النساء: ١٦٥.

الخاتمة :

بعد أن استعرضنا أفكار المنكرين للنبوات، والمنحرفين عن حقيقة الإسلام، والغامطين عظمته وفضله، وعرفنا آراء الذين أخطأوا في فهم النبوة وفي معرفة حقيقتها، يتبين لنا: أن كل منكر للنبوة أو فضلها أو فضل ماجاءت به الرسل والأنبياء من عقائد وتشريعات، إنما يخالف العقل والمنطق، ورأيه هذا لا يتفق مع حياة البشر.

والصحيح : أن أفكارهم التي نذروا حياتهم لها تتعارض مع سير الحياة الطبيعية، ومع واقع الإنسانية جمعاء، وذلك لأن هذا الفريق من الناس لا يريد الخير للإنسانية، فهم لا يقولون هذا القول بغرض البحث عن المعرفة والوصول إلى الطريق الصحيح، وإنما يندفعون بإيعاز من أحقادهم وكراهيتهم للأديان والرسل والأنبياء، حيث ما زالت في قلوبهم بقايا من الوثنية الجاهلة، والأديان البشرية التي تشربوها قديما عن آبائهم وأجدادهم، ومثلهم في هذا كمثل هؤلاء الذين يقولون لرسول الله محمد ﷺ حين كان يدعوهم إلى الإسلام وترك دين الآباء والأجداد ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (٢٣/زخرف).

وأيا ماكان الأمر، فإن هذه الدراسة تعطينا المعلومات التالية:

١ ـ الجماعات التي تنكر النبوات ليست جماعات عادية، وإنما هي جماعات شاذة منحرفة، والشاذ والمنحرف لا حكم له على الأكثرية المعتدلة العاقلة، فلا يضير النبوة والأنبياء إنكار جماعة من الشواذ، لأن النبوة يسري أثرها بالخير في نفوس الناس وعقولهم وحياتهم، والمؤمن والكافر يدرك ما للنبوات من خيرات وفضائل، حتى ولو أنكر هذا بعض الجاحدين المخبولين، وقد سبق في تاريخ البشرية من كان على منوال هؤلاء الناس، حيث كان يعرف ربوبية الله وألوهيته، ولكنه كان ينكر هذا جحودا، كما قال عز وجل عن فرعون وقومه:

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(١٤/ النمل).

٢ ـ الفلاسفة قد أخطأوا الطريق حين بحثوا في النبوات وكيفيتها ووسيلتها بعقولهم البشرية، فالعقل قاصر عن إدراك مثل هذه الغيبيات، لذلك قد أخطأوا في:

أ ـ بيان حكم النبوة حيث جعلوها واجبة على الله تعالى.

ب ـ بيان وسيلة الاتصال بين النبي ومصدر الوحي، حيث بدلوا العقل الفعال بالملك.

ج ـ بيان حقيقة النبي، حيث وضعوا له شروطا يمكن تحققها في غَيْر مَنِ اخْتارهم الله لرسالته، وهذا يفتح باب النبوة بعد ختمها من المولى عز وجلَ برسول الله محمد ﷺ.

وهذا الخطأ في الفهم أدى بهم إلى الوقوع في الكفريات التي نسبها إليهم علماء الكلام: من إنكار الملائكة، والوحي، وكلام الله تعالى، وقد بينت بالأدلة القوية النقلية والعقلية خطأ إنكار الفلاسفة في هذه الآراء، وأن الحق هو ما كان عليه سلفنا الصالح ومن تبعهم من أهل السنة الكرام.

٣ ـ الجماعات التي تنتسب إلى الإسلام وتريدها علمانية أو ماركسية فتشوه الإسلام وتقلل من قيمته، وتقف أمام دعوة تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وهؤلاء إن كانوا يرون : أن القوانين المستوردة، والأحكام البشرية أفضل من قانون الله ومن أحكام الشريعة الإسلامية، فإن حكم الشرع في هذا : أن من اعتقد بذلك عالما مدركا لما يقول، غير مكره على قوله هذا، فإنه يكون مرتدا عن الإسلام خارجا عن دين الله تعالى، ووجب قتله حَدًّا.

أما إن كانوا غير مدركين لما يقولون، أو مكرهين على هذا القول، أو لا يعرفون أن هذا يتعارض مع الإسلام ومبادئه ـ وهذا كله أمر مستبعد ـ فإن هؤلاء قد قَصَّرُوا أيضا حين فتحوا آذانهم لما يأتيهم من أعداء الدين والحاقدين عليه، في نفس الوقت الذي عَمُوا وَصَمُّوا عما في كتاب الله وسنة رسوله من القول الحق والعقيدة الصحيحة.

وأخيرا نقول:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

المراجـــــع

المؤلف	الكتاب	النشر
١ ـ الآمدي	غاية المرام في علم الكلام	القاهرة ١٣٩١ ـ ١٩٧١ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة
٢ ـ د. إبراهيم مدكور	في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه	ط ٣ دار المعارف ـ مصر
٣ ـ ابن أبي أصيبعة	عيون الأنباء في طبقات الأطباء	
٤ ـ ابن تيمية	مجموعة الرسائل الكبرى	دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان
٥ ـ ابن تيمية	مجموعة فتاوي ابن تيمية	مطبعة كردستان بمصر ١٣٢٩ هـ
٦ ـ ابن تيمية	كتاب النبوات	دار الكتب العلمية ١٩٨٢ م
٧ ـ ابن جلجل	طبقات الأطباء	
٨ ـ ابن حزم	الفصل في الملل والأهواء والنحل	مكتبة الخانجي بالقاهرة
٩ ـ ابن خلكان	وفيات الأعيان	دار صادر ـ بيروت ـ لبنان
١٠ ـ ابن سينا	الإشارات والتنبيهات	دار المعارف المصرية
١١ ـ ابن القيم	زاد المعاد في هدى خير العباد	ط ٣ ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م
١٢ ـ ابن كثير	البداية والنهاية	مكتبة المعارف ط ٢ ـ ١٩٧٧ م
١٣ ـ ابن كثير	تفسير القرآن العظيم	دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان
١٤ ـ ابن منظور	لسان العرب	دار صادر ـ بيروت ـ لبنان
١٥ ـ ابن النديم	الفهرست	
١٦ ـ أحمد أمين	ضحى الإسلام	ط ٣
١٧ ـ إسماعيل الجوهري	الصحاح/ تاج اللغة	دار العلم للملايين ط ١ ـ ١٩٥٦ م
١٨ ـ أنور الجندي	سقوط العلمانية	ط ١ سنة ١٩٧٣
١٩ ـ الباقلانى	التمهيد	تصحيح مكارثي سنة ١٩٥٧ م
٢٠ ـ التهانوي	كشاف اصطلاحات الفنون	ط كلكته سنة ١٨٦٢ م
٢١ ـ الجرجاني	التعريفات	مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٦٩ م وأيضا: الحلبي ١٩٣٨ م
٢٢ ـ الجويني	الإرشاد	مكتبة الخانجي ـ القاهرة
٢٣ ـ الذهبي	شذرات الذهب	منشورات دار الاتفاق الجديدة
٢٤ ـ الرازي (أبو حاتم)	أعلام النبوة	
٢٥ ـ الرازي (أبوبكر محمد) بن زكريا	مجموعة الرسائل الفلسفية	مصر ١٩٣٩ ـ ب ـ كراوس

٢٦ ـ الرازي (محمد بن أبي بكر)	مختار الصحاح	دار الحكمة ـ دمشق
٢٧ ـ الزركلي	الأعلام	ط ٢ وأيضا ط ٥ سنة ١٩٨٠ دار العلم للملايين
٢٨ ـ زكي نجيب محمود	المنطق الوضعي	القاهرة سنة ١٩٥١ م
٢٩ ـ الزمخشري	الكشاف	دار المعرفة ـ بيروت لبنان
٣٠ ـ السفاريني	لوامع الأنوار البهية	المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان
٣١ ـ سفر عبدالرحمن الحوالي	العلمانية ـ نشأتها وتطورها	ط سنة ١٩٨٧ م
٣٢ ـ السمرقندي	الصحائف الإلهية	ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م
٣٣ ـ الشهرستاني	الملل والنحل	مكتبة الخانجي بالقاهرة هامش الفصل لابن حزم
٣٤ ـ الشهرستاني	نهاية الإقدام	تصحيح الفرد جيوم
٣٥ ـ صاعد الأندلسي	طبقات الأمم	نشرة شيخو ١٩١٢ م
٣٦ ـ الطبري	تاريخ الأمم والملوك	مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٥هـ ١٩٣٩ م
٣٧ ـ عبدالرحمن بدوي	المنطق الصوري والرياضي	ط ٢
٣٨ ـ عبدالقادر البغدادي	كتاب: أصول الدين	دار الكتب العلمية ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م
٣٩ ـ عضد الدين الإيجي	المواقف	ط ١ سنة ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ م مطبعة السعادة بمصر
٤٠ ـ علي بن أبي العز	شرح العقيدة الطحاوية	ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ جامعة الامام محمد بن سعود، وأيضا ١ ـ ١٩٨١ م توزيع مكتبة المؤيد ـ الطائف
٤١ ـ علي السالوس	دراسات في الثقافة الإسلامية	ط ٤ سنة ١٩٨٥ ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت
٤٢ ـ الفارابي	آراء أهل المدينة الفاضلة	مطبعة صبيح
٤٤ ـ الفارابي	الثمرة المرضية	
٤٥ ـ القفطي	تاريخ الحكماء	
٤٦ ـ الكرماني	الأقوال الذهبية	
٤٧ ـ الكلاني	لباب العقول	ط ١
٤٨ ـ الكمال بن أبي شريف:	المسامرة بشرح المسايرة	
٤٩ ـ الماوردي	أعلام النبوة	دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان

٥٠ ـ محمد البهى	الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية	ط ١ سنة ١٩٧٣ م
٥١ ـ محمد حسين هيكل	حياة محمد	ط ١٤ دار المعارف بمصر
٥٢ ـ محمد الطيب النجار	سيرة الرسول ﷺ	مكتبة الجامعة الأزهرية ١٩٧١ م
٥٣ ـ محمد عبده	رسالة التوحيد	طبعة جريدة الشعب المصرية
٥٤ ـ محمد قطب	شبهات حول الإسلام	ط ٦
٥٥ ـ محمد محي الدين عبد الحميد	النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد	ط سنة ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م
٥٦ ـ محمد مهدي	العلمانية	ط ٢ سنة ١٩٨٣ م

Defending Prophethood

By: Dr. Muhammad Shalabi Shatwi

The present researcher discusses the question of prophethood in the light of the Qur'ān and Sunna "The Prophets' Example". He has proved that Divine perfect religions are too necessary for mankind that people can not do without them. Thus, humanbeings need messengers and apostles to convey Divine messages.

The msot important conclusions of this study are:

1. People who form the groups which reject prophethood are not normal persons. They are abnormed, deviate and corrupt. However, one should not generalize and judge the upright, moderate and reasonable majority by the behaviour of a deviate and corrupt minority. Furthermore, the rejection of or disbelief in prophethood does not harm prophets or prophethood because prophethood's blessing and good has a great effect on people's souls, minds and life. Both believers and disbelievers realize what favours and merits prophetoohd has in spite of the rejection the insane and confounded of it. There are examples of such persons in history. Although such people had knowledge about the Divinity of God and that He is the Lord of the universe, they denied their knowledge of this fact out of arrogance and mere rejection as stated by Allah about Pharooh and his people:

"And they rejected those signs in iniquity and arrogance" (27:14)

2. Philisophers have committed a grieveous mistake by studying and analyzing prophethood, its quality an methods since the human mind is limited and incapable of comprehending divination (the Unseen).

Philosophers are erroneous in their attempts to explain —

a- judgements concerning prophethood whereas they made it incumbent on Allah the Exalted.

b- the method of communication between the Apostle of God and the Source of Revelation whereas they replaced the effective mind by the angels.

c- the essence of an apostle where they worked out conditions which can be found in many persons other than the apostles chosen by Allah to deliver His Message. By doing this philosophers opened the door for the appearance of more prophets (or pretenders of prophethood) after the seal of Allah's prophets; Mohammed (Pbuh).

The erroneous conclusion of philosophers led Islamic theologians to asoribe to them disbelief in angels, revelation and the Qur'ān. the present researcher has discussed the philosopher's rejection of these basic beliefs by